

روايات مصرية للجيب
ملف المستقبل
د. نبيل فاروق
19
سلسلة الأعداد الخاصة
الجيل الثالث
Looloo
www.dvd4arab.com

ملف المستقبل ..

فى مكـان مـا مـن أرض (مصـر) ، وفى حقبـة مـا مـن حقـب المستقبل ، توجد القيـادة العليـا للمخـابرات العلميـة المصريـــة ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسريّة مطلقة ؛ من أجل حمايـة التقدّم العلمـى فى (مصـر) ، ومـن أجل الحفـاظ علـى الأسـرار العلميـة ، التـى هى المقياس الحقيقى لتقدّم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمـود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عنايـة تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدّى الغموض العلمـى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل إلى جيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحـة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

1ـ جينـــات ..

نوفمبر 1990م ..

سطع البرق فى السماء ، على نحو أضاء منطقة (حلوان) ، قبل أن ينطلق هزيم الرعد ؛ ليرج المنطقـة ، ويهزّ آلات ذلـك المعمل الصغير ، فـى أطـراف (حلوان) البعيدة ، حيـث وقـف شابان ، فى أواخر العشرينات من عمرهما ، يعدان شيئًا ما ، فى صمت وحمـاس كبيرين ، فـى حين رقـد شـاب ثـالث يصغرهمـا بسنوات قليلة ، على مائدة فحص ، عاريًا إلا من قطعة ملابس واحـدة ، تستـر عورتـه ، ويبـدو أكثـر توتـرًا منهمـا ، وهـو ينقـل بصره بينهما ، وبين قط كبير الحجم ، راح يتحرّك فـى عصبيـة شديدة ، داخل قفص معدنى كبير ، ويطلق مواءً قصيرًا ، كل فينـة وأخرى كأنه يعترض على وجوده فى ذلك المحبس الإجبارى ..

وبينمـا يتواصـل البـرق والرعـد ، وتنهمـر الأمطـار فـى شـدة ، اتجه أحد الشابين إلى ذلك الراقد ، وقال محاولاً الابتسام :

ـ لا تقلق .. سننتهى خلال دقائق قليلة .

قال الراقد فى عصبية :

ـ أتعشّم هذا .. فلو طال الأمر أكثر ، سأتراجع عما أعتزمه .

تمتم الأوَّل :

ـ لا تقلق .

قالها ، واتجه نحو زميله ، وهمس فى أذنه بشىء ما ، فأومأ زميله برأسه إيجابًا ، ثم اتجه نحو قفص القط ، الذى تضاعفت عصبيته لرؤيته ، وراح يموء بصوت مرتفع ، ضاعف من توتر الراقد ، الذى هتف :

ـ أسرعا !

عاد إليه الشاب الأوَّل ، وسحب محقنًا كبيرًا ، وهو يقول :

ـ تمالك نفسك .. تلك التجربة ستجعلك أقوى وأفضل مما أنت عليه ، ثلاث مرات على الأقل .

حاول الراقد أن يبتسم ، وهو يقول :

ـ هل ستمنحنى سبعة أعمار أيضًا ؟!

فى اللحظة التى قال فيها هذا ، كان الشاب الثانى يرش رذاذًا خاصًا ، من بخاخة صغيرة ، فى وجه القط ، وهو يخفى وجهه بذراعه ، فماء القط بصوت قوى ، امتزج بهزيم الرعد ، ليصنعا معًا صورة مخيفة ، أشبه بأفلام الرعب النمطية ..

وبينما يدور القط حول نفسه فى عصبية ، وجسمه يتخاذل فى سرعة ، عقد الأوَّل حاجبيه ، وقال فى شىء من الصرامة :

ـ قصة الأرواح السبعة هذه خرافة قديمة ، تعود إلى قدرة القط على السقوط من ارتفاعات عالية والهبوط على قدميه ، دون أن يصاب بأذى .. هذا المشهد دفع الأقدمين إلى تصور أن القط يموت مع السقوط ، ثم يحيا مرة أخرى ، ويستهلك فقط روحًا من أرواحه ، التى وصفوها بأنها سبعة ؛ نظرًا لقداسة الرقم ، فى كل الأديان والحضارات[*] ..

استمع إليه الراقد فى عصبية ، وعيناه تتطلعان إلى الثانى ، الذى انتظر حتى سقط القط فى سبات عميق ، ثم فتح القفص ، وأخرجه ، وأحضر مِحقنًا ، غرسه فى جسده فى دقة ، وعلى نحو مدروس ، بحيث اخترقت إبرته القفص الصدرى للقط ، وغاصت حتى منتصفه ، قبل أن يبدأ فى سحب نخاع العظام منه ، ليملأ مليمترًا واحدًا من المحقن ، قبل أن يسحبه من القط ، ويغطى إبرته ، ويحفظه فى حرص شديد ، داخل وعاء خاص معقَّم ، مغمغمًا :

ـ تمت الخطوة الأولى بنجاح .

(*) حقيقــــة .

أجابه الأوَّل فى صرامة ، دون أن يلتفت إليه :

ـ وماذا تنتظر ؟!

بدا الارتباك على الثانى ، واتجـه فى سرعـة نحـو جهـاز طـرد مركزى ، والتقط منه أنبوبًا صغيرًا ، ودفـع النخـاع من المحقن داخله ، ثم أغلقه فى إحكام ، ووضعه فى جهاز الطرد المركزى فى حرص ، وضغط زره ..

وأثناء دوران الجهاز ، قال الراقد ، وعصبيته تتضاعف :

ـ هل بقى الكثير ؟!

أجابه الأوَّل فى صرامة واقتضاب :

ـ تماسك .

عضَّ الراقد شفته السفلى فـى توتـر ، وظلَّت عيناه تتابعـان الثـانى ، الـذى أوقـف جهـاز الطـرد المركـزى ، وأخـرج منـه الأنبوب ، الذى انقسم النخاع داخله إلى قسمين ، أحدهمـا سميك أحمر داكن فى القاع ، والثانى سائل كثيف أصغر فى القمة ..

وبعملية شديدة التعقيد ، تمت أمام عينى الراقد ، الذى لا يفقه شيئًا عن العلم وتعقيداته ، فصـل الثـانى السـائل عـن المـادة السميكة ، فى أنبوبين منفصلين ، ثم راح يضيف إلى كل منهمـا

بعض المـواد الكيماويـة والحيويـة ، ويعالجهمـا معالجـات خاصـة سريعة ، قبل أن يعود إلى مزجهما فى أنبوب ، ثم يسحبهما داخل محقن كبير نسبيًا ، ويمسكه بيده ذات القفاز ، كأنه يمسك سـلاحًا خطيرًا ، وقال فى توتر واقتضاب :

ـ مستعد .

التفت إليه الأوَّل فى هدوء ، ومدَّ يده ، فاتجه نحوه الثانى ، ووضع المحقن فى راحته ، والراقد يتابعهما فى عصبية ، مغمغمًا :

ـ الآن ؟!

أجابه الأوَّل ، وهو يمرِّر سبَّابته على عظمة القصِّ فى صدره :

ـ الآن .

كان الراقد شديد العصبية ، وهو يتابع ما يفعله الأوَّل ، الذى مسح صدره كله بمادة معقمة ، وهو صامت تمامًا ، فقال بكل عصبيته :

ـ أأنت واثق من النتائج ؟!.. وفقًا لحديثك ، لم يجر أحد مثلها من قبل .. ولم يتم اختبارها قط .

أجابه الأوَّل فى صرامة :

ـ لم يجرها أحد ، ولـم تخطـر حتـى ببـال أحـد ؛ لأن عقولهـم أضعف من أن تستوعب هذا العلم العبقرى .

غمغم الراقد فى عصبية شديدة ، وإبرة المحقن تتجه نحو صدره :

ـ أى علم هذا ؟!

ابتسم الأوَّل ابتسامة ثقة ، والتمعت عيناه ، وهو يجيب :

ـ يمكنك أن تطلق عليه اسم (علم الجينات) .

قالها ، ثم غرس إبرة المحقن فى عظمة القص فى قوة ، انتفض معها الثانى ، وأذناه تستقبلان صوت قرقعتها المخيف ، وهى تخترق العظام ، فى حين أطلق الراقد صرخة قوية ، ضاعت مع هزيم الرعد الرهيب ، قبل أن يفقد الوعى ، والأوَّل يدفع كل محتويات المحقن ؛ لتمتزج بنخاع عظام الراقد ..

وعلى الرغم منه ، شعر الثانى بقشعريرة باردة ، تسرى فى جسده ، فى حين سطع البرق مرة أخرى ..

وأخرى ..

وأخرى ..

* * *

مارس 1995م ..

انعقد حاجبا ضابط مباحث منطقة الهرم ، فى توتر شديد ، وهو يتطلَّع إلى تلك الجثة ، التى تم العثور عليها مدفونة فى رمال هضبة قصيرة ، على بعد ثلاثمائة متر من الهرم الأكبر ..

لم تكن أوَّل مرة ، يرى فيها جثة مدفونة ، ولكنها حتمًا المرة الأولى التى يرى فيها جثة ممزَّقة على هذا النحو ..

لم تكن ممزَّقة على نحو منتظم ، كما يفعل أى قاتل يحاول إخفاء جريمته بتقطيع الجثة إلى أجزاء ودفنها فى أماكن مختلفة ...

فهذه الجثة لم تكن مقطَّعة ..

كانت قطعة واحدة ..

ولكنها ممزَّقة ..

شىء ما مزَّق لحمها ، حتى بلغ عظامها ، وقضم منها عدة قطع ، كما لو أنه حيوان مفترس ضخم ..

ولكن الحيوانات المفترسة لا تدفن ضحاياها ..

وهذا لغز ..

لغز كبير جدًّا ..

وفى توتر ، تساءل أحد الضباط :

ـ ما الذى فعل بها هذا ؟!

لم يكن ضابط المباحث يملك جوابًا للسؤال ؛ لذا فقد غمغم فى صرامة ، أراد أن يخفى بها توتره :

ـ متى يصل الطبيب الشرعى ؟!

أجابه الضابط ، وهو يحاول تفادى النظر إلى الجثة الممزَّقة :

ـ إنه فى الطريق .

مع إجابته ، ظهرت سيارة الطب الشرعى من بعيد ، وهى تقترب فى سرعة من مسرح الجريمة ..

وبكل توتر الدنيا ، تابعها ضابط المباحث ببصره ، حتى توقَّفت قريبًا منه ، وهبط منها طبيب شرعى شاب ، اتجه نحوه مباشرة ، ومدَّ يده يصافحه ، قائلاً :

ـ الدكتور (محمد حجازى) ، من مصلحة الطب الشرعى .

لم يكن ضابط المباحث يميل إطلاقًا إلى مصافحة رجال الطب الشرعى ، إلا أنه فى هذه المرة شدَّ على يد الدكتور (حجازى) ، وهو يقول :

ـ أمامنا لغز كبير يا دكتور .

أخرج الدكتور (حجازى) من جيبه زوجين من القفازات المطاطية ، ارتداهما فى هدوء ، وهو يقول :

ـ كل ما نواجهه يبدأ لغزًا ، ثم ينتهى حقائق علمية واضحة .

واتجه نحو الجثة ، مردفًا فى ثقة :

ـ هذا ما اعتدناه .

مع آخر حروف كلماته ، وقع بصره على الجثة الممزَّقة فى بشاعة ، فاتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يهتف :

ـ ربـاه !

كتم ضابط المباحث توتره ، وهو يغمغم :

ـ ألم تر شيئًا كهذا من قبل ؟!

أجابه الدكتور (حجازى) ، فى صوت حمل كل انفعاله :

ـ بلى .. ولكن ليس فى عالم الواقع .

التفت إليه الضابط فى دهشة متسائلة ، فأضاف فى توتر :

ـ رأيت صورة مشابهة ، لرجل مزَّقه حيوان مفترس أثناء رحلة صيد أفريقية .

انعقد حاجبا الضابط ، وهو يقول :

ـ أتعنى أن هذا من فعل حيوان مفترس ؟!

تردَّد الدكتور حجازى لحظة ، ثم قال وهو ينحنى ليفحص الجثة :

ـ من المبكِّر أن نجزم بهذا .

سأله الضابط فى توتر ، وهو يتابع فحصه للجثة :

ـ وهل تدفن الحيوانات المفترسة ضحاياها ؟!

أجابه الدكتور (حجازى) ، وهو منهمك فى الفحص :

ـ بعضها يفعل ، و ...

بتر عبارته فجأة ، وهو ينحنى فى شدة ، والدهشة تتفجَّر فى وجهه ..

فما رآه كان يقلب الموازين كلها ، رأسًا على عقب .. بمنتهى العنف .

* * *

شعر ضابط مباحث الهرم بمنتهى التوتر ، عندما شاهد تلك الدهشة العارمة ، التى ارتسمت على وجه الدكتور (حجازى) ، وهتف به فى عصبية :

ـ ما الذى أدهشك إلى هذا الحد ؟!

لم يجبه الدكتور (حجازى) على الفور ، وإنما أخرج من جيبه ملقطًا صغيرًا ، التقط به شيئًا ما ، انغرس فى جزء متمزِّق من ذراع الجثة ، ورفعه إلى قرب عينيه ، قبل أن يقول فى دهشة حائرة :

ـ إنه ظُفر .

غمغم الضابط ، وهو يميل لرؤية ما يحمله الدكتور (حجازى) :

ـ أتقصد مخلبًا ؟!

التفت إليه الدكتور (حجازى) ، مجيبًا :

ـ بل ظفر .. ظفر بشرى .. وهو لذكر على الأرجح .

اعتدل الضابط بحركة حادة ، وهو يردِّد فى دهشة بالغة :

ـ ظفر بشرى ؟!

أخرج الدكتور (حجازى) من جيبه الآخر كيسًا ورقيًّا صغيرًا ، وضع داخله الظفر ، وهو يقول :

ـ موقعه ومكانه يوحيان بأنه يخص القاتل ، وأنه قد انكسر أثناء تمزيقه لجثة القتيل .

شعر الضابط بغصة فى حلقه ، منعته من الحديث بضع لحظات ، ثم لم يلبث أن غمغم فى توتر ، بصوت شديد الاختناق :

ـ هل مزَّقه بشرى ؟!

تردَّد الدكتور (حجازى) طويلاً ، وهو يضع الكِيس فى جيبه فى حرص :

ـ ما زال الوقت مبكرًا للجزم بهذا .

وصمت لحظة ، وهو يكمل فحص الجثة ، ثم تنهّد قائلاً ، كأنه يحدّث نفسه :

ـ لو أن علوم الجينات ، التى نقرأ عنها ، قد تطورت بما يكفى ، لأمكننا أن نعرف كل ما نريد عن القاتل ، من هذا الظفر المكسور .

لم يفهم الضابط ما يعنيه ، فغمغم :

ـ ربما .

ثم تساءل ، وقد استعاد توتره :

ـ هل من دلائل أخرى ؟!

أجابه الدكتور (حجازى) بصوت شارد ، وكأنه يحدّث نفسه :

ـ الوفاة حديثة ، منذ يوم واحد ، وربما لم تتكشف الجثة إلا مع تلك العاصفة الرملية المحدودة ، التى هبّت مساء أمس ، وهى أيضًا التى أخفت وأزالت كل الآثار الأخرى التى يمكن أن ترشد إلى ما حدث .

صمت لحظات مفكرًا ، وصمت معه الضابط فى انتظار أن يقول شيئًا ما ، ولكن الدكتور (حجازى) التفت إليه ، وقال فى حزم :

ـ أريد نقل الجثة إلى المشرحة ؛ لاستكمال باقى الفحص .

أشار الضابط إلى رجاله ؛ ليشتركوا مع الفنيين فى نقل الجثة ، ثم التفت إلى الدكتور (حجازى) قائلاً :

ـ هل تتصوّر أن المعمل الجنائى ، يمكنه أن ...

قبل أن يتم سؤاله ، انطلق رنين هاتفه المحمول ، فالتقطه من جيبه فى سرعة ، وقال :

ـ ماذا هناك ؟

راقبه الدكتور (حجازى) فى اهتمام ، عندما اتسعت عيناه عن آخرهما ، قبل أن يغمغم فى عصبية :

ـ فليكن .. نحن فى الطريق .

ثم أنهى المحادثة ، والتفت إلى الدكتور (حجازى) ، قائلاً بكل توتره :

ـ عثروا على جثة أخرى ... ممزّقة !

وانعقد حاجبا الدكتور (حجازى) فى دهشة وتوتر وحيرة ..

فمن الواضح أنهم أمام لغز ..

لغز غامض وكبير ..

للغاية ..

* * *

القرن الحادى والعشرون ..

تثاءبت (سلوى) فى تكاسل ، وهى تلقى جسدها على الأريكة ، إلى جوار (نور) ، الذى ابتسم وربتها فى حنان ، قائلاً :

ـ هل أرهقك العمل إلى هذا الحد ؟!

أشارت بيدها ، إشارة تعبر عن الإيجاب ، وحاولت أن تبتسم ، وهى تجيب :

ـ ومتى لم يرهقنى ؟!

أراحت رأسها على صدره ، وتركت جسدها يسترخى ، وأسبلت جفنيها ، وهى تضيف :

ـ عزائى الوحيد أننى سأعود إلى البيت فى النهاية .

وابتسمت فى حنان ، مردفة :

ـ وسأجدك فيه .

طبع قبلة حانية على جبينها ، وهمس فى أذنها :

ـ هذا ما يجذبنى إلى البيت أيضًا .

بدأ النعاس يداعب جفنيها ، وهى تتمتم :

ـ إنه واحتنا .

شملهما الصمت بضع لحظات ، وأحاطها (نور) بذراعه فى حنان ؛ ليمنحها نومًا هادئًا دافئًا ، و ...

فجأة ، انطلق أزيز ساعته الخاصة ، فارتجف جسده ارتجافة ، جعلت (سلوى) تفتح عينيها ، وتعتدل قائلة فى توتر :

ـ لا .. ليس الآن !

ربتها عليها مرة أخرى ، كأنه يعتذر عن استدعاء العمل المفاجئ وهو يضغط زر ساعته بيده الأخرى ، ثم قرأ الكلمات القليلة ، التى تراصت عليها بحروف رقمية ، وغمغم :

ـ معذرة يا عزيزتى .. القائد الأعلى يستدعينى ، على نحو عاجل .

لم يرق لها هذا أبدًا ..

ولم يرق له أيضًا ..

ولكنه ، وفى كل الأحوال ، كان يقف أمام القائد الأعلى شخصيًا ، الذى بادره ، قائلاً فى توتر ملحوظ :

ـ نحن أمام لغز كبير أيها المقدم .. كبير وخطير ، إلى أقصى حد !

شدَّ (نور) قامته بحركة غريزية ، وهو يسأل :

ـ وما طبيعته يا سيِّدى ؟!

أجابه القائد الأعلى فى سرعة وصرامة :

ـ قاتلة .

بدا الجواب مقتضبًا للغاية ، فتطلَّع إليه (نور) بتساؤل ، ليكمل فى مزيج من التوتر والصرامة :

ـ لقد تم العثور على ثلاث جثث ، لرجلين وامرأة ، فى أماكن مختلفة من مدينة (الإسكندرية) ، وكلها ممزَّقة على نحو بشع ، و ...

صمت لحظة ، وكأنه يحاول هضم الأمر ، ثم استطرد :

ـ ولقد تم التهام أجزاء منها .

استعاد (نور) ذكرى قديمة مفزعة ، وهو يغمغم :

ـ أهو حيوان مفترس ما ؟!

أجابه القائد الأعلى :

ـ هذا ما تصوره رجال البحث الجنائى للوهلة الأولى ، ولقد أصدروا بالفعل نشرة إليكترونية ، عبر كل الشبكات ، تحذر من وجود حيوان مفترس طليق ، وتنوِّه بضرورة الإبلاغ عنه ، أو عن أى أمر يثير الشك فى هذا الشأن ، ولكن التقرير الأوَّلى للطب الشرعى ، جاء ليقلب الأمر كله رأسًا على عقب ، ويضعنا أمام اللغز .

أراد (نور) أن يسأل عما حواه تقرير الطب الشرعى ، ولكنه آثر الصمت ، حتى أضاف القائد الأعلى ، فى توتر شديد :

ـ لقد ذكر التقرير أن فحص الأسنان ، التى التهمت أجزاء من الضحايا ، أثبت أنها ...

صمت لحظة ، ثم أضاف فى عصبية :

ـ آدمية !

انتفض جسد (نور) ، على الرغم منه ، واتسعت عيناه ، وهو يحدِّق فى وجه القائد الأعلى ، محاولاً استيعاب الأمر ، الذى استوعبه فى سرعة ، ولكنه علَّق عليه فى بطء حذر :

ـ أيعنى هذا أننا أمام آكل لحوم بشر ، فى قلب المدينة ؟!

أجابه القائد الأعلى ، بنفس التوتر والصرامة :

ـ أكلة لحوم بشر يا (نور) .

مرة أخرى ، أطل التساؤل من عينى (نور) ، فاستطرد القائد الأعلى :

ـ تقرير الطب الشرعى يؤكِّد أن الأسنان التى التهمت كل ضحية ، تختلف عن الأخرى .. باختصار .. نحن أمام ثلاث ضحايا ، وثلاثة قتلة .. من آكلى لحوم البشر .

ردَّد (نور) ، فى شىء من الارتياع :

ـ ثلاثة ؟!

أشار القائد الأعلى بذراعه ، قائلاً :

ـ وربما هناك المزيد .

بدا لحظة ، وكأنه سيكتفى بهذا التعليق ، ولكنه لم يلبث أن تابع :

ـ الجثث الثلاث ، تم العثور عليها مدفونة ، فى ثلاثة أماكن مختلفة ، وربما هناك جثث أخرى ، لم يتم العثور عليها بعد ، وهذا يمكن أن يشير إلى أننا لا نواجه مجرَّد قاتل ، أو عدد محدود من القتلة ، بل من المحتمل أننا نواجه سلالة كاملة ، من أكلة لحوم البشر ، سلالة ربما تهاجم الجنس البشرى الطبيعى ، أو تحاول حتى إبادته ؛ لتحل محله ، على وجه الأرض .

بدا الاحتمال مفزعًا ، إلى درجة تفوق الاحتمال ، فغمغم (نور) ، محاولاً أن يطمئن نفسه فى المقام الأوَّل :

ـ كلها ما زالت مجرَّد احتمالات .

أشار إليه القائد الأعلى ، قائلاً :

ـ وهذه مهمة فريقك يا (نور) .. أن تتحوَّل الاحتمالات إلى وقائع ، وحقائق ملموسة .

شدَّ (نور) قامته مرة أخرى ، وقال فى حزم :

ـ سنبذل قصارى جهدنا يا سيدى .

وصمت لحظة ، ثم أضاف :

ـ ولكنْ هناك شخص واحد ، يمكنه أن يرشدنا إلى طرف الخيط ، فى أمر كهذا .

وهنا ، انتقل التساؤل إلى عينى القائد الأعلى ، فأضاف (نور) فى حزم :

ـ الدكتور (حجازى) .

وكانت البداية ..

بداية مهمة جديدة ..

ومثيرة ..

وقاتلة .

* * *

2ـ أظـافـر..

بدا الدكتور (حجازى) شديد الانهماك فى مطالعة أحد مراجع الطب الشرعى القديمة ، عندما دلف (نـور) إلـى مكتبـه ، وهـو يقول فى صوت خافت ، خشية أن يزعجه :

ـ مساء الخير .

علـى الرغم مـن هـدوء صوتـه وخفوتـه ، انتفـض الدكتـور (حجازى) فى شدة ، ووثب من مقعده بحركة عنيفة ، وحدَّق فى (نور) بعينين حملتا كل الرعب والارتياع ، قبل أن يهتـف ، فـى صوت حمل انفعالاً جارفًا :

ـ (نور) ؟!

قال (نور) فى دهشة :

ـ لم أتصورَّ أن يفزعك قدومى ، إلى هذا الحد .

ظلَّ الدكتور (حجـازى) يحدِّق فيـه لحظـة ، بنفس الارتيـاع ، قبل أن تلين ملامحه فجأة ، ويحمر وجهه خجلاً ، وهو يغمغم :

ـ معذرة يا (نور) .. كنت منهمكًا فى مراجعة معلومـة دقيقـة فحسب ؛ فلم أشعر بقدومك .

غمغم (نور) ، محاولاً تخفيف الموقف :

ـ لقد دلفت إلى هنا ، فى خفة أكثر مما يليق .

أغلق الدكتور (حجازى) مرجعه ، وأزاحه جانبًا ، وهـو يبتسم قائلاً :

ـ لا عليك .

ثم اعتدل ، وتنحنح ، محاولاً استعادة رصانته التقليديـة ، وهـو يكمل :

ـ ولكن لابد من أنه أمر جلل ، ذلك الـذى يدفعك إلـى القدوم ، دون موعد سابق يا (نور) .

جلس (نور) على مقعد مواجه ، وأجاب :

ـ الواقع أنه كذلك .

تراجع الدكتور (حجازى) فى مقعده ، وأشـار إليـه بيده ليبـدأ حديثه ، فتنحنح (نور) بدوره ، قبل أن يقول :

ـ الواقع أننى أحتاج إلى معاونتك يا سيِّدى .

التقى حاجبا الدكتور (حجازى) ، وقال فى اهتمام يفوق العادة :

ـ بشأن الجثث الثلاث ؟!

ارتفع حاجبا (نور) فى دهشة ، وهو يقول :

ـ هل تعلم بأمرها ؟!

تراجع الدكتور (حجازى) فى مقعده مرة أخرى ، وأشار بيده ، قائلاً :

ـ عالم الطب الشرعى أصغر من أن يخفى سرًا .

غمغم (نور) :

ـ حتى ولو حاولنا إخفاءه رسميًا .

هزّ الدكتور (حجازى) كتفيه ، وقلب كفه ، مع ابتسامة محرجة ، دون أن يجيب بحرف واحد ، فأومأ (نور) برأسه متفهمًا ، وقال :

ـ هذا سيوفّر بعض الوقت على الأقل .

ثم اعتدل فى مقعده ، وشدّ قامته على نحو رسمى ، حتى دون أن ينتبه إلى هذا ، وهو يضيف :

ـ أريدك ، رسميًا ، أن تعيد تشريح تلك الجثث ، وأن تتولى فحص كل ما يخصها ، من أدلة جنائية ، حتى يمكننا الحصول على تقرير واف ، يقودنا إلى بداية الخيط .

تردَّد الدكتور (حجازى) لحظة ، وبدا متململاً على مقعده ، وهو يقول :

ـ على الرحب والسعة يا (نور) ، ولكن ...

بتر عبارته ، فى تردُّد أكثر ، فمال (نور) نحوه ، يسأله فى قلق واهتمام :

ـ ولكن ماذا ؟!

تردَّد بضع لحظات أخرى ، قبل أن يحسم أمره ، قائلاً :

ـ ولكننى أعتقد أن البداية ليست فى تلك الجثث الثلاث .

جذبت العبارة انتباه (نور) فى شدة ، فتساءل فى قلق :

ـ فيم كانت إذن ؟!

تطلّع إليه الدكتور (حجازى) بضع لحظات فى صمت ، قبل أن يجيب فى بطء ، حمل كل توتره وانفعاله :

ـ فى منتصف تسعينات القرن العشرين .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وقد بدا له الجواب أشبه بالصدمة ، فحدّق فى وجه الدكتور (حجازى) بضع لحظات ، قبل أن يقول ، فى خفوت عصبى :

ـ منتصف التسعينات ؟!.. ماذا تعنى ؟!

لوَّح الدكتور (حجازى) بيده ، قائلاً :

ـ أعنى أننى قد واجهت أمرًا مشابهًا ، فى تلك الفترة ، ولقد قمت بتسجيله كحدث غامض آنذاك ، ولكننى لم أتوصل إلى حله أبدًا ، ثم توقَّفت حالات القتل ، واندثر الأمر مع الزمن ، وقيَّدت الشرطة الحادث ضد مجهول ، وألقيت أنا الأمر كله خلف ظهرى .

وصمت لحظة ، ثم استدرك بصوت عصبى :

ـ أو حاولت هذا .

حدَّق فيه (نور) بضع لحظات أخرى ، محاولاً هضم ما سمعه توًا ، خاصة أنه قد يقلب الموقف كله رأسًا على عقب ، ثم تنحنح ، فى محاولة لطرح توتره ، قبل أن يسأل الدكتور (حجازى) :

ـ ماذا حدث بالضبط ، فى منتصف التسعينات ؟!..

امتعض وجه الدكتور (حجازى) ، كأن السؤال قد أجبره على استعادة ذكرى بغيضة ، إلا أنه لم يلبث أن قال :

ـ فليكن .. سأروى لك ما حدث حينذاك .

وعلى الرغم من توتره الشديد ، بدأ يروى ..

وبكل التفاصيل ..

* * *

كان الظلام حالكًا ، فى تلك البقعة الهادئة ، من حى (المنتزه) فى (الإسكندرية) ، إلا أن (حامد) ، صاحب أسطول مراكب الصيد الشهير ، لم يبال بالظلام والصمت والهدوء ، وهو يسير فى الشارع الذى اعتاد قطعه كل ليلة ، فى أثناء عودته من عمله .. فعلى الرغم من ثرائه الشديد ، وعدد السيارات الكبير الذى يملكه ، فقد اعتاد العودة إلى منزله سيرًا على الأقدام ، فى كل ليلة لتنشيط دورته الدموية ، والحفاظ على لياقته البدنية ، فى عصر سيطرت عليه التكنولوجيا ، وأصبحت الحياة فيه رقمية ، من القمة إلى القاع ..

وفى هدوء شديد ، وعلى الرغم من الظلام الدامس ، دسَّ كفيه فى جيبى سرواله ، وراح يطلق من بين شفتيه صفيرًا منغومًا ، للحن قديم ، من منتصف ثمانينات القرن العشرين ، وهو يهز رأسه مع اللحن ، وكأنما يستمتع به ، أو يستعيد معه ذكريات ذلك الزمن الجميل ، الذى عاش فيه كل صباه وشبابه ..

وبينما يسير فى هدوء ، تناهى إلى مسامعه فجأة ذلك الصوت ..

صوت أشبه بصوت أقدام ، تتسلَّل من خلفه ..

أقدام سريعة ..

خفيفة ..

مرنة ..

صوت أثار ريبته وقلقه ، خاصة وسط الظلام الدامس ..

فتوقَّف ..

توقَّف دفعة واحدة ؛ ليرهف سمعه ..

ومع توقفه ، توقَّفت الأصوات أيضًا ..

ولما يقرب من دقيقة ، ظلَّ الرجل صامتًا ساكنًا ، يرهف سمعه بشدة ..

ولكنه لم يسمع شيئًا ..

أى شىء ..

ومع الصمت المحيط بـه ، بدأ ، لأوَّل مرة فى حياته ، يشعر بالقلق والخوف ، فعاود السير فى سرعة ، وقد اتسعت خطواته ، كأنما يحاول بلوغ نهاية الطريق ، فى أسرع وقت ممكن ..

ولكن الأصوات عادت مرة أخرى ، على نحو مختلف ..

عادت أشبه بشىء ما ، يتسلَّق الجدار ، فى خفة وسرعة ..

وزاد (حامد) من سرعته أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وتضاعف قلقه وخوفه ألف مرة ، حتى دفعـاه فى النهاية إلـى العدو بأقصى سرعته ، كأنما تطارده الشياطين ..

وبكل ذعره ، سمع من يعدو خلفه ، ولكن من أعلى ..

شىء ما ، كان يطارده فوق الأسطح ، ويستهدفه على نحو ما ..

وفجأة ، سمع (حامد) صوتًا أشبه بمواء قط هائل ، فصاح بكل الرعب :

ـ ماذا تريد منى ؟!

ومع آخر حروف كلماته ، انقض جسم ضخم عليه ؛ فصرخ ..

وفى ذلك الشارع المظلم ، انبعثت أصوات مختلطة ، لصرخات رعب وألم ، وصوت شجار عنيف ، ومواء شرس ..

ثم خفَت الأصوات ، حتى صمتت تمامًا ، قبل أن يرتفع مواء قط ضخم ، ثم يسود الصمت التام ..

* * *

مدَّ الدكتور (حجازى) يده ، يلتقط فى توتر علبة صغيرة ، من دولاب زجاجى ، اعتـاد (نـور) رؤيته دومًا فى مكتبه ، وتصـوَّر

أنه يحوى ذكريات من قضايا مختلفة واجهها كبير الأطباء فى شبابه ، ولكن الدكتور (حجازى) فتح العلبة ، ووضعها أمام عينى (نور) ، وهو يقول :

ـ هذا هو الدليل الوحيد الذى عثرنا عليه آنذاك .

تطلّع (نور) إلى الظفر الذى فى داخل العلبة ، وغمغم :

ـ ظفر بشرى ؟!

أومأ الدكتور (حجازى) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ عظيم أنك قد تعرّفته ، مع النظرة الأولى .. أنا أيضًا فعلت فى حينها ، ولكننى لم أنجح فى الاستفادة منه قط .. كل ما تيقنت منه ، هو أن الذى فعل هذا بالضحايا الثلاث آنذاك ، كان بشريًا واحدًا .. أنا أحتفظ ببصمة أسنانه ، التى استخرجتها من أثر التهامه لأجزاء من ضحاياه ، وذلك الظفر ، الذى انكسر وهو يمزّق قطعة من لحم إحدى ضحاياه ، التصقت بعظامها ، ولقد قضيت ما يقرب من العام ، أتطلّع إليه ، وأنا عاجز عن معرفة أى شىء منه .

سأله (نور) فى خفوت :

ـ ولماذا ؟

أجابه فى أسف :

ـ لم يكن علم الجينات بهذا التطورّ آنذاك ، ولم تكن هناك وسائل لفحص الحمض النووى ، أو ...

قاطعه (نور) فى حزم :

ـ ولكنها متوافرة الآن .

رفع الدكتور (حجازى) عينيه إليه فى تساؤل ، فأضاف بمنتهى الجزم :

ـ ويمكننا استخلاص العديد من النتائج ، من هذا الظفر ، فى زمننا هذا .

سأله الدكتور (حجازى) فى لهفة :

ـ وهل تتوقّع ؟!

قاطعه (نور) مرة أخرى :

ـ نعم .. هذا هو طرف الخيط الذى لدينا .. طرف الخيط الوحيد .

نطقها بكل الحزم ..

وكل الأمل .

* * *

على الرغم من عملـه لسنوات ، فـى فريـق (نـور) ، إلا أن (أكرم) لم يستطع استيعاب ذلك الأمر ، الذى يرويه هذا الأخير ، فرفع يده متسائلاً :

ـ (نور) .. أتعنى أننا نواجه أكلة لحوم بشر بالفعل ؟!

أومأ (نور) برأسه إيجابًا فى صمت ، فاتسعت عينا (سلوى) فى ارتياع ، وعقد (رمزى) حاجبيه فى توتـر ، وأشـارت (نشوى) بيدها ، قائلة :

ـ كنت أتصورَّ أن هذه الأساليب البدائية الوحشية ، لم يعد لها وجود ، فى هذا العصر .

وأضاف (أكرم) فى عصبية :

ـ لم أتصورَّ أنها كانت موجودة ، إلا فى أفلام الرعب القديمة .

قالت (نشوى) ، فى انفعال :

ـ الصورة التى نقلتها الأفلام القديمة ، عن أكلة لحوم البشر ، كانت درامية بنسبة مائة فى المائة .. فالواقع أنه لم يكن هناك وجود قط ، لأكلة لحوم البشر المتوحشين ، الذين يجوبون الطرقات ، لالتهام من يجدونه فى طريقهم ، بل كانت هنـاك قبائل محدودة ، فـى وسـط (أفريقيـا) و(أمريكـا) الجنوبيـة ، تلتهـم لحـوم أعدائها ، عندما يقعون فى الأسر ، ولم يفعلوا هذا كنوع من

الغذاء ، ولكن لاعتقادهم بأن هذا يجعل الروح معذَّبة فى الحياة الأخرى .. فقد كـان التهام لحوم البشر نوعًا من الانتقام ، أكثر منه وسيلة للبحث عن الغذاء(*) .

قاطعتها (سلوى) فى عصبية :

ـ كفى .

ثم التفتت إلى (نور) ، تسأله بنفس العصبية :

ـ وكيف سنتوصل إلى هؤلاء ، لو أنهم المسئولون عما يحدث ؟!.. هل سنسير فـى الطرقـات ، فـى انتظـار أن ينقض أحدهم علـى شخص ما ، أمام أعيننا ، أم ماذا ؟!

غمغم (نور) :

ـ الواقع أنها أكبر مشكلة تواجهنا بالفعل .

وصمت لحظة ، ثم استدرك فى حزم :

ـ ولكننا نعمل على حلها حاليًا .

سأله (رمزى) فى اهتمام :

ـ كيف ؟

(*) حقيقـــة .

أشار (نور) بيده ، قائلاً :

ـ عندما يقبض شخص ما بأسنانه ، على جسد شخصٍ آخر ، فهو يترك شيئًا ولو قليلاً من لعابه ، الذى يحوى حمضه النووى ، ولقد تطوَّرت طرق فحص الأحماض النووية والبصمة الجينية تطورًا عظيمًا ، منذ أواخر تسعينات القرن العشرين .. ومركز الأبحاث العلمية يقوم ، فى هذه اللحظة ، بفحص ما تخلَّف من آثار حمضية نووية ، على مواضع الالتهام ، فى أجساد الضحايا ، والمفترض أن نحصل على أجوبة منهم ، ومن الدكتور (حجازى) ، فى أية لحظة الآن .

تساءل (أكرم) ، فى حيرة قلقة :

ـ وما شأن الدكتور (حجازى) بالأمر ؟!

انفرجت شفتا (نور) ليجيب ، ولكن هاتفه انطلق فى اللحظة نفسها ، فالتقطه فى سرعة ، وهو يقول ، فى لهجة حملت شيئًا من اللهفة :

ـ ها هو ذا .

ثم استطرد فى اهتمام ، وهو يتحدَّث إلى الدكتور (حجازى) هاتفيًا :

ـ ما الجديد يا دكتور (حجازى) ؟!

أجابه الدكتور (حجازى) ، فى توتر ملحوظ :

ـ لدىَّ جديدان يا (نور) ، ولكنَّ كليهما ليس جيدًا للأسف .

سأله (نور) ، فى توتر مماثل :

ـ أخبرنى أسوأهما !

صمت الدكتور (حجازى) لحظة ، قبل أن يجيب :

ـ ذلك الظُّفر .

سأله ، وقد امتزج توتره بقلقه :

ـ ماذا عنه ؟!

أجابه الدكتور (حجازى) :

ـ يحوى أغرب مزيج من الجينات ، رأيته فى حياتى ؛ فهو بشرى بالمقام الأول ، ولكنه ممتزج بجينات سِنَّورية ، وهذا يعنى جينات تتشابه مع جينات فصيلة حيوانية كاملة ، تبدأ بالقط ، وتنتهى بأشرس أنواع النمور ، وجينات ثعبانية أيضًا ، وكلها فى ضفيرة جينية واحدة ، كأننا بالفعل أمام سلالة جديدة ، لم نسمع عنها من قبل .

كان الأمر مفاجئًا لـ (نور) بشدة ، حتى إنه صمت بضع لحظات ، محاولاً استيعاب الأمر ، قبل أن يسأل فى بطء :

ـ وما الجديد الآخر ؟!

أجابه بسرعة :

ـ لقد عثروا على ضحية جديدة فى (الإسكندرية) .

غمغم (نور) :

ـ لقد كان هذا متوقعًا .

وصمت لحظة ، تطلَّع خلالها إلى رفاقه ، الذين يتطلَّعون إليه بدورهم فى قلق ، ثم أضاف :

ـ أشكرك يا دكتور (حجازى) ، وسأنتظر أية تطورات أخرى .

أنهى المحادثة ، وعاد يتطلَّع إلى رفاقه فى صمت ، فهتف به (أكرم) فى عصبية :

ـ أخبرنا ما لديك يا (نور) .

شرح لهم كل ما سمعه من الدكتور (حجازى) ، فهبط عليهم صمت واجم ، استغرق ما يقرب من دقيقة كاملة ، قبل أن يقول (رمزى) فى حذر ، لم يكن له ما يبرِّره :

ـ أهى سلالة جديدة بالفعل يا (نور) ؟!

هزَّ (نور) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ لا يمكننا الجزم بعد ، ولكن الأمر الوحيد الذى ندركه ، هو أن من يرتكبون هذا ما زالوا نشطين ، ويواصلون حصر ضحاياهم لسبب ما .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى صرامة :

ـ وأننا لابد من أن نوقفهم ، مهما كان الثمن .

انعقد حاجبا (أكرم) ، وسحب مسدسه يلوِّح به ، وهو يقول :

ـ أعلم جيدًا كيف .

التفت إليه الجميع فى صمت ، وقالت (نشوى) :

ـ المهم أن تعثر عليهم أوَّلاً .

أشار (نور) بسبَّابته ، مضيفًا :

ـ وأن تعلم كيف مرة ثانية .. فمن نواجههم هم مزيج من البشر ، والسنوريات ، والثعابين .

قال (أكرم) فى صرامة :

ـ كلها يقتلها الرصاص .

غمغمت (سلوى) :

ـ من يدرى ؟!

التفت إليها (أكرم) فى غضب ، ولكن هاتف (نور) عاد يرن مرة ثانية ؛ ليجذب انتباههم جميعًا ، وهو يجيب رئيس مركز الأبحاث :

ـ أظنكم توصلتم إلى النتيجة نفسها .

سأله رئيس مركز الأبحاث فى دهشة :

ـ أية نتيجة ؟!

أجابه (نور) ، وقد دفعته دهشة الرجل ، إلى شىء من الحذر :

ـ نتيجة فحص الحامض النووى ، التى تحوى مزيجًا من الجينات البشرية والسنورية والثعبانية .

تضاعفت دهشة رئيس مركز الأبحاث ، وهو يقول :

ـ لن أسألك كيف حصلت على هذه المعلومات ، التى وصلتنى منذ دقائق قليلة ، ولكنها معلومات ناقصة يا (نور) .

قال (نور) فى توتر :

ـ ناقصة ؟!

أجاب الرجل :

ـ نعم .. تنقصها مجموعة جينية ، لم تذكرها يا (نور) .

غمغم (نور) ، وقد تضاعف توتره :

ـ مجموعة جينية ؟!

أجابه فى صوت متوتر :

ـ نعم .. إنها تحوى جينات طائر يا (نور) ، وهذا مدهش للغاية .. فوفقًا للعلوم الحديثة ، من العسير جدًا خلط جينات حيوانية بجينات طيور ، و ...

قاطعه (نور) فى توتر شديد :

ـ أى نوع من الطيور ؟!

صمت الرجل لحظة ، قبل أن يجيب :

ـ نسر يا (نور) .. نسر أفريقى .

وكانت مفاجأة عنيفة ..

بل شديدة العنف ..

إلى أقصى حد ممكن ..

أو ربما ما يفوق هذا ...

بكثير ..

وفى توتر ، بلغ حده الأقصى ، التفت (نور) إلى رفاقه ، قائلاً فى بطء :

ـ الأمور تتطوَّر ، على نحو بالغ الخطورة .

تطلَّعوا إليه فى صمت متساءل ، فأضاف :

ـ هناك جينات نسر أفريقى ، فى فحص الحمض النووى ، المتخلف عن المهاجمين الجدد .

اتسعت عينا (سلوى) ، وهى تغمغم فى ارتياع :

ـ نسر أفريقى .. يا إلهى !

وتمتمت (نشوى) فى دهشة :

ـ أهذا الخلط ممكن ؟!

أما (أكرم) ، فتساءل :

ـ وما الذى يمكن أن يعنيه هذا يا (نور) ؟!

التفت إليه (نور) ، وهو يجيب فى توتر صارم :

ـ أن تلك السلالة تتطوَّر .. وبسرعة مدهشة .

وكانت مفاجأة أشد عنفًا ..

ألف مرة .

* * *

3 ـ نفـــوذ ..

كانت الشمس تبدأ رحلة الشروق بالكاد ، على شواطئ مدينة (الإسكندرية) ، عندما وصل (نور) ورفاقه إلى مبنى المخابرات العلمية هناك ، ووقفت (سلوى) أمام النافذة ، تلتقط نفسًا عميقًا من نسيم البحر ، فى محاولة لتهدئة أعصابها ، قبل أن تلتفت إلى الباقين ، قائلة :

ـ فى ظروف أخرى ، تبدو (الإسكندرية) بالنسبة إلىَّ ، أجمل مدينة ساحلية فى الدنيا .

غمغم (أكرم) ، وهو يتأكَّد من حشو مسدسه بالرصاصات :

ـ نعم .. فى ظروف أخرى .

وتساءلت (نشوى) ، وهى تفتح جهاز الكمبيوتر المحمول الخاص بها :

ـ لقد حضرنا إلى مسرح الجريمة يا أبى ، ولكننى ما زلت أجهل ، أى طرف خيط سنتبعه ، باستثناء وقوع الجرائم هنا!

أجابها (نور) ، وهو يضغط زرًا فى الجدار ، فتظهر خريطة إليكترونية كبيرة ، على شاشة خاصة ، تبدو كأنها جزء من الجدار :

ـ سنحاول إيجاد علاقة ما ، بين المواقع التى ارتكبت فيها كل هذه الجرائم ؛ فربما يقودنا هذا إلى معرفة المكان الذى يعود إليه كل أفراد تلك السلالة المتوحشة المختلطة .

قالت فى حماس ، وهى تضغط أزرار الكمبيوتر :

ـ أخبرنى المواقع ، وسأجعل الكمبيوتر يعاوننا فى هذا .

راقبها (أكرم) فى توتر ، وهى تتصل بتلك الشاشة الكبيرة ، عبر تكنولوجيا التوصيل اللاسلكى ، وتنقل الخريطة والمواقع ، إلى شاشة جهازها ، واتجه نحو (رمزى) ، يسأله فى اهتمام :

ـ تُرى هل يمكنك دراسة نفسية تلك الوحوش ، التى نطاردها هنا ؟!

صمت (رمزى) لحظة ، ثم هزَّ رأسه وكتفيه ، مجيبًا فى حذر :

ـ لن يكون هذا سهلاً .

غمغم (أكرم) :

ـ هذا ما توقعته .

استدرك (رمزى) على الفور :

ـ ولكنه ليس مستحيلاً .

نظر إليه (أكرم) ، فى تساؤل حائر ، فتابع :

ـ جيناتهم الأساسية بشرية ، تمتزج بغرائز ثلاث فصائل مختلفة ، ولو درست طبائع تلك الفصائل ، ومزجت هذا بالطبيعة البشرية ، فمن الممكن أن ...

قاطعه (نور) فى صرامة :

ـ ولماذا تضيع الوقت ؟!.. ابدأ الآن .

قال (رمزى) متوترًا :

ـ نعم .. هذا أفضل .

بدأ باستدعاء بعض البرامج المرجعية ، على شاشة الكمبيوتر الخاص به ، فى حين تساءلت (سلوى) :

ـ وماذا عنى ؟.. هل ينتظرنى دور ما ؟

التفت إليها (نور) ، مجيبًا :

ـ بكل تأكيد .

ثم اتجه إلى النافذة المفتوحة ، وأشار فيها إلى (الإسكندرية) ، مكملاً :

ـ يمكنك رصد وتسجيل أية ذبذبات غير شرعية ، فى المنطقة كلها ..

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى حزم :

ـ كبداية .

أومأت برأسها ، قائلة :

ـ سأبذل قصارى جهدى .

تركها وعاد إلى (نشوى) ، وهو يقول فى اهتمام :

ـ دعينا نواصل عملنا .

وانهمك كل منهم فى عمله ..

وفى الخارج ، كانت التجربة تستمر ..

بمنتهى السرعة ..

ومنتهى الوحشية ...

* * *

صعد عامل الشبكات ، إلى سطح ذلك المبنى الشاهق فى (الإسكندرية) ؛ استجابة لشكوى سكان المنطقة ، من ضعف الاتصال اللاسلكى العام للإنترنت ، منذ أكثر من يومين ، وتسلّق برج البث الرئيسى ، وهو يغمغم فى ضجر :

ـ يا لشبكة الإنترنت تلك ، التى تشغل عقول الجميع !..

كانت نظم الإنترنت قد تطوّرت كثيرًا ، فى تلك الفترة من القرن الواحد والعشرين ..

فمنذ سنوات خمس مضت ، تم فصل الإنترنت عن شبكة الاتصالات الهاتفية ، وتم تركيب عدد من محطات البث اللاسلكية ، فوق أسطح المبانى الشاهقة ، فى (مصر) كلها ، بحيث صارت الإنترنت أشبه بشبكات التليفزيون الأرضية ، يمكن أن يستقبلها أى إنسان ، فى أى مكان ، بسرعة كبيرة ، ودون أية مصروفات ، أو أجهزة خاصة ..

ولقد ساهم هذا فى انطلاق ثورة المعلومات ، إلى حدّها الأقصى ، وفى ثورة علمية كبيرة ، قفزت بالدولة كلها عدة خطوات ، فى طريق الحضارة والتقدُّم ..

ولكن المشكلة كانت تنشأ دومًا ، من أعطال أبراج البث ..

صحيح أنها لم تكن عديدة أو طويلة ، إلا أنها كانت مؤثرة ومقلقة .. للغاية ..

لذا فقد كان العامل يدرك جيدًا حساسية مهمته ، وضرورة أن ينجزها على أكمل وجه .. ولقد بدأ فى فحص أجهزة البث القوية بالفعل ، قبل أن يتوقّف فى دهشة ، ويلتقط جهاز اتصال خاصًا بالشركة ، ليقول :

ـ هناك أمر عجيب هنا .. الجهاز مفتوح ، على نحو غير قانونى ، ولقد عبث به أحدهم ؛ لتعطيل البث .

سأله مسئول الشركة فى دهشة :

ـ ومن يمكن أن يفعل هذا ؟!

أجابه فى حيرة :

ـ لست أدرى .. ربما ...

قبل أن يتم عبارته ، اخترق أذنيه صوت مواء وحشى ، بدا كأنه ينطلق على بعد متر واحد منه ، فالتفت بحركة حادة ، واتسعت عيناه إلى أقصاها ، وهو يهتف ، بكل رعب الدنيا :

ـ رباه !.. مستحيل !

وفى اللحظة التالية ، اخترقت أظافر حادة عنقه ، وانطلق ذلك المواء الوحشى فى وجهه مباشرة ، وامتزج بصرخات الألم والرعب ، التى انطلقت من حنجرته ، والتى نقلها جهاز الاتصال اللاسلكى إلى مسئول الشركة ، الذى صاح :

ـ ماذا يحدث عندك ؟!.. ماذا يحدث عندك بالله عليك ؟!

لم يجاوبه سوى ذلك المواء الوحشى ..

وصرخات الرجل ..

ثم صوت ارتطام عنيف ..

ومواء ظافر ..

ثم صمت تام ..

صمت رهيب ..

مخيف ..

ومرعب ..

إلى أقصى حد ممكن ..

* * *

« هل توصلّت إلى شىء ما ؟!.. »

ألقى (نور) السؤال على ابنته (نشوى) فى اهتمام ، فهزّت رأسها نفيًا فى أسف ، مجيبة :

ـ الأمر ليس سهلاً كما تصوّرنا .. الجرائم الثلاث الأولى تم ارتكابها ، فى مناطق (الأنفوشى) ، و(المنتزه) ، و(كامب شيزار) ، أما الجريمة الرابعة ، فقد ارتكبت فى (المنشية) ، وهذا يعنى أن الجرائم تم ارتكابها بطول الساحل السكندرى تقريبًا ، ومن المستحيل ، فى هذه الحالة ، تحديد نقطة انطلاق بعينها .

بدت علامات التفكير العميق على وجه (نور) ، وهو يغمغم :

ـ يبدو أننا نواجه خصمًا ، أذكى بكثير مما نتصورً .

استغرق فى تفكيره بضع لحظات ، ثم التفت إلى (رمزى) ، متسائلاً :

ـ هل تجد تفسيرًا لهذا ؟!

توقَّف (رمزى) عن مطالعة مراجعه ، وأجاب :

ـ المفترض فى أى حيوان ، أن يحدِّد نطاق سلطته ، وأن يعمل فى حدود معروفةً ، يعتبر الصيد فيها من حقه وحده ، ولكننا نتحدَّث عن مزيج معقَّد ، من الحيوان والطير والبشر ، ومن الممكن أن يقودنا هذا إلى تحليل شديد التعقيد .

أجابه (نور) فى بطء :

ـ أو شديد البساطة .

عبارته جذبت انتباه الكل ، فالتفتوا إليه بحركة واحدة ، جعلته يواصل :

ـ لو طبقنا الجزء الأوَّل من حديثك ، على الحالة التى لدينا هنا ، لقلنا : إن تلك السلالة الوحشية ، تحاول مد نطاق سلطتها ، إلى مساحة واسعة للغاية ..

وصمت لحظةً ، قبل أن يضيف فى حزم :

ـ (الإسكندرية) كلها .

استقبلوا العبارة فى صمت متوتر ، وهم يتبادلون النظرات ، مع بعضهم البعض ، قبل أن يلوِّح (أكرم) بمسدسه كالمعتاد ، قائلاً :

ـ وهل سنسمح لهم بهذا ؟!

أشار (نور) بيده ، قائلاً :

ـ ما زال الجواب كما هو ... المهم أن تعثر عليهم أوَّلاً .

انعقد حاجبا (رمزى) فى شدة ، وعاد يراجع مراجعه فى اهتمام ، و(سلوى) تقول فى خفوت :

ـ فحص الموجات الصوتية لم يسفر عن شىء .

هزَّت (نشوى) رأسها إيجابًا ، وقالت :

ـ وكذلك مقارنة مواقع الجريمة .. لقد أسفرت عن نتيجة سلبية .

قال (أكرم) فى عصبية :

ـ فى هذه الحالة ...

قبل أن يتم عبارته ، اندفع (رمزى) ، قائلاً فى انفعال :

ـ لقد وجدت التفسير .

وكانت مفاجأة جديدة ، فى قضية اكتظت بالمفاجآت .. الرهيبة .

* * *

انهمكت ربة منزل بسيطة ، فى إعداد طعام الغداء لأسرتها ، وبدت محنقة ، لأنها وعلى الرغم من كل أجهزة الطهى الحديثة ، التى حرصت على أن يضمها مطبخها ، ما زالت تعمل حتى منتصف النهار ؛ حتى تعد الطعام ..

كانت واحدة من الندرة القليلة من النساء ، اللاتى فضلن البقاء فى المنزل ، بدلاً من العمل فى وظيفة ما ، وإن كانت ، بحكم مواهبها الفنية ، ترسم عشرات اللوحات الجميلة ، التى تبيعها عبر محالّ التحف الفنية ، وتحصل منها على عائد كبير ، يفوق ما يحصل عليه زوجها ، من عمله فى أحد البنوك الإليكترونية الكبيرة ..

كانت تعمل فى سرعة ، وتضغط أزرار الأجهزة طوال الوقت ، وذهنها منشغل بموضوع لوحتها الجديدة ، و ...

وفجأة ، انتفض جسدها كله فى عنف ، مع دوى صرخة الرعب الهائلة ، التى انطلقت من الشقة التى تعلوها ، والتى امتزجت بصوت ، هو مزيج من مواء قط ، وزمجرة فهد ، وفحيح أفعى ، وخفقان أجنحة قوية ..

وعلى الرغم من رعبها الشديد ، الذى سرى فى كيانها كله ، جعلها الفضول تندفع نحو نافذة مطبخها ؛ لتلقى نظرة على فراغ المنور ، الذى انبعثت عنده تلك الصرخة ، بكل ما امتزج بها ..

وعندما أطلّت من النافذة إلى أعلى ، انتفض جسدها كله ، فى عنف أكبر ألف ألف مرة ..

لقد كان ما رأته ، وما اتسعت له عيناها عن آخرهما ، وتجمَّدت له كل قطرة دم فى جسدها ، مشهدًا رهيبًا ..

رهيبًا ، إلى أقصى حد ممكن ..

* * *

أشار (رمزى) إلى نقطة بعيدة ، على خريطة (الإسكندرية) ، وهو يقول ، فى لهجة تفيض بالاهتمام والرصانة معًا :

ـ لو أن خصومنا لا يتحركون وفقًا للغريزة الحيوانية أو للمنطق البشرى ، فما أعتقده هو أنهم يتعمدون هذا ، ويختارون ضحاياهم

من أماكن مختلفة ؛ بغرض تشتيت انتباهنا ، وإبعاد نظرنا تمامًا ، عن موقع وكرهم الفعلى .

غمغم (أكرم) ، وهو يقلب شفتيه :

- وكرهم ؟!

تابع (رمزى) ، كأنه لم يسمعه :

- ووفقًا لهذا ، فهم فى أحد طرفى (الإسكندرية) ، أو فى عمقها ، ولكن حتمًا فى منطقة يتوافر فيها مورد غذاء دائم .

تمتمت (نشوى) :

- العالم كله مورد غذاء دائم لهم .

هزَّ رأسه نفيًا ، وهو يقول :

- إنهم لا يقتلون للحصول على الغذاء فحسب .. هناك حتمًا سبب آخر .

سأله (نور) فى اهتمام :

- مثل ماذا ؟

أجابه فى سرعة :

- إثبات القوة مثلاً .. إعلان وجودهم .. ترك بصمة ما .. أو ربما تحديد مناطق نفوذ ، على نحو يخالف ما نعرفه .

تمتم (نور) :

- كلها أسباب منطقية ومحتملة .

مع آخر حروف عبارته ، ارتفع رنين هاتفه الخاص ، فالتقطه بسرعة كبيرة ، وقال فى توتر ملحوظ :

- أهناك ضحايا جدد ؟!

صمت بضع لحظات ، ثم أضاف :

- نحن فى طريقنا .

أنهى الاتصال ، ورفع عينيه إلى رفاقه ، قائلاً :

- هناك ضحيتان جديدتان .. عامل شبكات ، وربة منزل .

غمغمت (سلوى) فى دهشة :

- أما زالت هناك ربات منزل ؟!

وسأله (رمزى) :

- أين يا (نور) ؟!.. أين ؟!

أجابه فى حزم :

- فى منطقتى (الماكس) و(المعمورة) .. ولكن ليس هذا هو المهم .. المهم أن ضحية المعمورة ، لم تلق مصرعها ..

تفجَّرت دهشة مبتهجة ، فى وجوههم جميعًا ، وهتفت (سلوى) :

ـ كيف ؟!

أجابها (نور) ، فى حزم أكثر :

ـ ليس هذا أيضًا هو المهم .. المهم أنها رسَّامة .. أتعرفون ما يعنيه هذا ؟!

وحملت وجوههم كلها الجواب ..

والدهشة ..

واللهفة ..

بلا حدود ..

* * *

هناك .. فى تلك المنطقة البعيدة المنعزلة ، من مدينة (الإسكندرية) ، وقف عالم كهل ، وسط معمل كبير ، يكتظ بعدد ضخم من الأجهزة الرقمية الحديثة ، وأجهزة فحص الجينات ، وبه حجرة معزولة معقمة ، تحوى سريرًا طبيًا واحدًا ، وعددًا غير محدود من أجهزة توصيل السوائل الحيوية والكيماوية ..

كانت التجاعيد التى حفرت خطوطًا عميقة على وجهه ، تمنحه مظهرًا يفوق سنوات عمره بكثير ..

وكان منهمكًا فى عمل ما ..

كان يخرج عينات ، من جهاز زجاجى صغير ، ويذيبها فى مادة خاصة ، ذات لون أصفر ، يميل إلى الحمرة ، ويقلِّبها بعصا زجاجية صغيرة فى حرص ، حتى يتعكَّر السائل ، ويكتسب لونًا ورديًا ، فيسحبه بوساطة جهاز آخر ، ويحقنه فى زجاجات صغيرة ، ثم يرصُّها فى وعاء خاص ، وينقلها إلى مبرِّد طبى كبير ..

ظل يواصل عمله هذا ، لأكثر من ساعة كاملة ، دون أن يتوقَّف لحظة واحدة ، حتى بدا عليه الإجهاد ، فألقى جسده على مقعد معدنى كبير ، فى ركن المعمل ، وراح يلهث ، كأنه قد قطع مسافة طويلة ، جريًا على الأقدام ..

وبينما يسبل جفنيه فى إرهاق ، التقطت أذناه صوتًا خافتًا ، أشبه بخربشة أظافر ، على باب معمله ، ففتح جفنيه ، وتطلَّع إلى الباب فى تساؤل ، دون أن يقوم من مكانه ، ولكن الأصوات تصاعدت ..

وتصاعدت ..

وتصاعدت ..

وامتزجت بوقع أقدام ، تقترب من باب المعمل ، وصوت زحف خارج نافذته ..

وعلى الرغم من ذلك المزيج المخيف ، لم يحرِّك العالم ساكنًا ، وإنما ظل جالسًا ، وعيناه تحملان نظرة ترقُّب ، تخلو تمامًا من الخوف والرعب ..

وفجأة ، انفتحت النافذة فى عنف ..

وفى اللحظة التالية ، انفتح الباب بالعنف نفسه ..

وفى هدوء ، نقل العالم الكهل بصره ، بين النافذة والشباك ، ورأى تلك المخلوقات الثلاثة تُدلِف إلى المعمل ، وتتجه نحوه ، فابتسم فى حنان مدهش ، حتى ركع الثلاثة أمامه ، وأمال أحدهم رأسه تجاهه ، فربت على رأسه فى حنان ، فمال أكثر يتمسّح فى ساقه ، لتتسع ابتسامة العالم فى حنان أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

* * *

على الرغم من مرور ما يقرب من ساعة على ما أصابها ، ظلَّ جسد ربة المنزل يرتجف ، وظل لسانها عاجزًا عن الكلام ، وهى تقف أمام (نور) ورفاقه ، وتحدّق فيهم فى رعب هائل ، جعل (نور) يلتفت إلى (رمزى) ، ويشير إليها ، فاقترب منها (رمزى) فى رفق ، وجلس إلى جوارها ، قائلاً فى هدوء :

ـ كل شىء انتهى يا سيِّدتى .. يمكنك الشعور بالأمان الآن .

حدّقت فيه فى رعب ، وبدا أنها تبذل جهداً رهيبًا ؛ للسيطرة على أعصابها ، قبل أن تندفع قائلة ، فى صوت مختنق :

ـ خطأ .

بدا للجميع أنهم لم يسمعوها جيدًا ، فمالوا نحوها ، على نحو غريزى ، لتهتف هى فى عصبية شديدة :

ـ لن أشعر بالأمان أبدًا !..

هتافها المفاجئ ، جعلهم يتراجعون بحركة حادة ، فأشار إليهم (رمزى) بالهدوء والتماسك ، وهو يسألها :

ـ ولمـاذا ؟

أكملت عبارتها ، وكأنها لم تسمعه :

ـ ما دام ذلك الشىء على قيد الحياة !

وهنا سألها (نور) :

ـ أى شىء ؟!

رفعت عيناها إليه بحركة حادة ، وقالت :

ـ الشىء البشع !

ثم راحت تلوِّح بيديها فى عصبية ، مستطردة :

ـ إنه يبدو كالبشر ، فى الضوء الخافت .. ولكنه ليس كذلك .. هناك تلك الـ ... الـ ...

قال (نور) ، محاولاً إكمال عبارتها :

ـ المخالب والأنياب .

هزّت رأسها نفيًا فى قوة وعصبية ، قبل أن تجيب :

ـ الأجنحة .

جاء الجواب ليصيبهم جميعًا بصدمة ، فتبادلوا نظرة شديدة العصبية ، قبل أن تسألها (سلوى) :

ـ أنت فنانة كما أخبرونا .. ألم ...

قاطعتها فى انفعال :

ـ رسمته ؟!.. بالتأكيد .

هبّت من مقعدها ، واندفعت نحو مكتبها ، وقطعت ، فى عصبية شديدة ، ورقة من دفتر الرسوم التحضيرية ، وعادت بها إليهم ، قائلة :

ـ ها هو ذا .

ألقى الجميع نظرة متلهّفة على الرسم ..

واتسعت العيون كلها فى ذهول ..

فما رسمته كان مذهلاً ..

بكل معنى الكلمة .

* * *

4ـ المخلـــوق ..

هدوء عجيب ، ذلك الذى شمل العالم الكهل ، وهو يقيِّد أحد مساعديه فى إحكام ، إلى السرير الطبى ، داخل الحجرة المعقمة ، ويقول للآخر :

ـ ابدأ الاستعدادات .

سأله المقيَّد :

ـ أأنت واثق من أن هذا التطور سيؤتى ثماره ؟

أومأ برأسه ، وابتسم ، دون أن يتفوه بكلمة واحدة ، ثم التفت إلى مساعدته ، قائلاً فى حنان :

ـ سيأتى دورك بعده .

أومأت برأسها ، فى خضوع شديد ، وسألت فى رقة وخفوت :

ـ ماذا ستضيف هذه المرة يا أبى ؟

ملأ صدره بالهواء ، قبل أن يجيب فى نشوة :

ـ أنبل وأقوى حيوان فى الدنيا .

أطل تساؤل وشغف ، من عيون الثلاثة ، فأضاف فى اعتزاز :

ـ الجـواد .

التمعت عيون ثلاثتهم ، حتى ذلك الراقد على سرير الفحص ، والذى قال فى نشوة أكبر :

ـ الجواد حيوان قوى ، وسريع !

قالت الفتاة فى حزم :

ـ الفهد أكثر سرعة[*] .

قال الثالث :

ـ ولكن الجواد جميل .

أشار العالم إلى ثلاثتهم بالصمت ، وقال :

ـ سنرى النتائج ، خلال يومين فحسب .

تساءلت الفتاة :

ـ وبعدها ؟

ابتسم دون أن يجيب ، واتجه نحو المبرِّد ، والتقط منه واحدة من الزجاجات الصغيرة ، التى تحوى السائل الوردى العَكِر ، وعاد بها إلى الراقد ، قائلاً فى حنان خافت :

ـ مستعد ؟

(*) حقيقـة .

أومأ المساعد برأسه ، وبدا القلق على وجهى المساعدين الآخرين ، والعالم يملأ محقنًا كبيرًا بذلك السائل الوردى ، ثم يتحسَّس عظمة القص لدى مساعده ، وهو يقول فى إشفاق :

ـ إغلِق عينيك فى قوة ، فهذا سيؤلمك قليلاً .

سأله المساعد الثانى فى قلق :

ـ ألا يمكن تخديره أوَّلاً ؟!

أجابه فى صرامة :

ـ كلا .

ثم غرس إبرة المحقن ، فى عظمة القص ، فى قوة ..

وأطلق المساعد الراقد صرخة ..

صرخة ألم عنيفة ، دفعت المساعدَيْن الآخرين إلى إغلاق عيونهما ، والفتاة تهتف :

ـ يا لَلمسكين !

ثم فقد المساعد وعيه ، من شدة الألم ..

وفى هدوء وحزم ، ودون أن يتأثَّر بما حوله ، كأنه انفصل

تمامًا عن عالمه ، راح العالم يدفع ذلك السائل الوردى العكر ، فى عظمة القص ، فى بطء ، وعيناه تتألَّقانِ فى شدة ..

لقد تجاوز علوم عصره بكثير ..

كثير جدًّا ..

* * *

لم يكد الدكتور (حجازى) يصل إلى (الإسكندرية) ، حتى انتقل مباشرة إلى مقر الفريق ، حيث استقبله (نور) ، قائلاً :

ـ نريد رأيًا علميًّا يا دكتور (حجازى) .

سأله الدكتور (حجازى) فى اهتمام :

ـ بشأن ماذا ؟

قاده (نور) إلى لوحة معلقة على الجدار ، يتطلَّع إليها الجميع ، وأجاب :

ـ هذا .

اتسعت عينا الدكتور (حجازى) عن آخرهما ، وهو يحدِّق فى ذلك الرسم ، الذى بدا له خرافيًا ، وربما أكثر مما ينبغى ..

كان الرسم لمخلوق ، له تكوين جسدى بشرى ..

ووجه غير بشرى ..

على الإطلاق ..

وجه ، أشبه بوجوه القطط ..

أو النمور ..

العينان ..

الأنياب الرفيعة الحادة ..

الأنف الأسود ..

وحتى تلك الشوارب الرفيعة الطويلة ..

أما الأيدى فكانت تحوى أظافر طويلة ..

قوية ..

حادة ..

ولكن كل هذا ، على الرغم من غرابته ، لم يكن السبب الرئيسى لدهشته ..

ربما لأنه توقَّع أو تخيَّل هذه الهيئة ، عندما فحص الحمض النووى للظفر ..

ما أثار دهشته ، وربما ذهوله أيضًا ، هما الجناحان ..

جناحان ضخمان كبيران ، ينبتان من ظهر المخلوق ، ويجعلانه يحلِّق فى فراغ كبير ..

جناحا نسر ..

أفريقى ..

وبكل دهشته العارمة ، غمغم الدكتور (حجازى) :

ـ أهذه هيئتهم ؟!

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ كما رسمتها شاهدتنا الوحيدة .

سأله بنفس الدهشة :

ـ وكيف بقيت على قيد الحياة ؟!

أجابه (نور) :

ـ لم تكن الضحية المقصودة .. لقد ظفرت تلك الكائنات المخيفة بضحيتين اليوم ، والثانية كانت تقيم فى الشقة التى تعلوها مباشرة .

غمغم الدكتور (حجازى) :

ـ يا لَلمساكين !

وافقه (نور) ، بإيماءة أخرى من رأسه ، وتساءل :

ـ كيف يمكن أن نحصل على شىء كهذا ؟!

أشار الدكتور (حجازى) بيده ، قائلاً :

ـ من الناحيتين ؛ العملية والعلمية ، هذا مستحيل تمامًا .. فحتى أحدث أبحاث الهندسة الجينية ، وزرع وتركيب الجينات ، ما زالت تواجه مشكلة كبيرة ، فى إقناع جينات الفصائل المختلفة ، باندماج بعضها ببعض .. العلوم الحديثة ، أمكنها مزج جينات أنواع مختلفة من الحيوانات بعضها ببعض ، فى ظروف شديدة التعقيد ، وباستخدام آخر تطورات التكنولوجيا ، وكذلك الأنواع المختلفة من الطيور ، أو الزواحف ، أو حتى الحشرات ، ولكن كل نوع منها ، ما زالت جيناته ترفض الامتزاج بجينات الأنواع الأخرى ، أو على الأقل إكمال نموها ، فى ظل هذا الامتزاج .. وما تراه أمامك هو مزيج مدهش ، من الحيوان والطير ، وتحليلاتنا تضيف الزواحف أيضًا .. وفى رأيى الشخصى ، لا يمكن أن يحدث هذا ، تحت ظروف طبيعية .

سألته (سلوى) فى قلق :

ـ من أين أتت تلك السلالة إذن ؟!

صمت لحظات ، وهو يتطلّع إلى الرسم ، قبل أن يجيب :

ـ إما أنه قد تم إنتاجها ، عبر تكنولوجيا تفوق كل ما نعرفـه ، أو ...

عاد إلى صمته ، فقال (أكرم) يستحثه :

ـ أو ماذا ؟!

التقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يجيب فى توتر :

ـ أو أنها قد أتت من خارج كوكب الأرض ..

وانتقل توتره إلى الجميع ..

بمنتهى العنف ..

* * *

فجأة ، استعاد المساعد الشاب وعيه ، وانطلقت من حلقه شهقة قوية ، قبل أن يلهث فى عنف ، ويدير عينيه فيما حوله ، فى توتـر شديد ، فربت العالم الكهل كتفه مهدئًا ، وهو يقول فى حنان :

ـ لا بأس .. لقد انتهى الأمر .

غمغم المساعد فى توتر :

ـ حقًا ؟!

ربت كتفه مرة أخرى ، فى حين ابتسمت له المساعدة ، قائلة :

ـ لقد حللنا قيودك .

انتبه إلى هذا ، فى نفس اللحظة التى نطقت فيها عبارتها ، فهبط عن سرير الفحص ، وتساءل فى قلق :

ـ هل نجحنا ؟!

أجابه العالم فى هدوء :

ـ سنعرف ، قبل مرور يومين من الآن .

بدا عليه قلق أكثر ، فى حين قالت الفتاة :

ـ هل أبدأ أنا ؟

ابتسم لها العالم ، وهو يقول :

ـ ولكن جيناتك ستختلف .

سألته فى شغف :

ـ علام سأحصل ؟

أمسك يدها ، قائلاً :

ـ سأريك .

قادها فى هدوء إلى قبو كبير أسفل معمله ، يكتظ بأقفاص ، تحوى أنواعًا مختلفة من الطيور والحيوانات والزواحف ، وتوقف معها أمام قفص زجاجى كبير ، وسألها :

ـ ما رأيك ؟!

وتألقت عيناها بشدة ..

فما رأته كان مدهشًا ، وقادرًا على منحها قدرات مختلفة ..

ومدهشة ..

إلى حد كبير .

* * *

أشار الدكتور (حجازى) إلى خريطة كبيرة لمدينة (الإسكندرية) ، وهو يقول فى اهتمام :

ـ لا يوجد مكان واحد ، يمكن أن نجزم بأنه مناسب لتعايش تلك المخلوقات شبه الآدمية ، ولكن هناك حتمًا علامات أخرى ، يمكن أن نهتدى بها ، لترجيح أماكن تواجدها .

قال (نور) ، وهو يفحص الخريطة بعينيه :

ـ لابد أن يكون مكانًا بعيدًا عن الأنظار .

أضافت (سلوى) :

ـ ومنعزلاً .

وأشارت (نشوى) بيدها ، قائلة :

ـ ولكنه يتصل بشبكات الكهرباء والإنترنت .

التقط (رمزى) نفسًا عميقًا ، وقال :

ـ إنهم يحتاجون على الأرجح إلى مكان فسيح ، يتسع لكل ما يحتاجون إليه .

استمع إليهم (نور) فى اهتمام ، ثم عاد يفحص الخريطة ، قائلاً :

ـ بناءً على هذا ، سنجد أمامنا منطقتين مناسبتين تمامًا .

قال الدكتور (حجازى) :

ـ بالضبط .. تلك المنطقة ، بين (المعمورة) و(أبو قير) .

أكمل (نور) :

ـ والمنطقة الواقعة بين (رأس التين) و(العجمى) .

قالت (نشوى) فى حماس :

ـ ماذا لو رسمنا خطًا ، يصل بين أماكن الجرائم المختلفة ، لنرى إلى أين يقودنا امتداده .

غمغمت (سلوى) :

ـ فكرة جيِّدة .

أسرعت أصابع (نشوى) تعمل على أزرار الكمبيوتر ، لترسم ذلك الخط ، على الخريطة الرقمية الكبيرة ، ثم تطلق امتداده من الطرفين ..

وأمام عيون الجميع ، راح الخط يمتد عبر الخريطة ..

ويمتد ..

ويمتد ..

ثم وصل طرفه الشرقى إلى تلك المنطقة ، الواقعة بين (المعمورة) و(أبو قير) .. وفى حماس وانفعال شديدين ، هتف (أكرم) :

ـ ها هى ذى !

ثم سحب مسدسه ، ولوَّح به ، مكملاً فى حماس :

ـ هل نتجه إليهم على الفور ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

ـ كلا .

صاح (أكرم) فى حنق :

ـ وماذا سننتظر ؟!.. أن يقتنصوا ضحية جديدة ؟!

أجابه (نور) فى صرامة :

ـ بل أن تحاصرهم أوَّلاً .

ثم التقط جهاز اتصاله الخاص ، وقال :

ـ وهذا يحتاج إلى مساعدة رجال الأمن الداخلى وتعاونهم .

مطَّ (أكرم) شفتيه ، وأشاح بوجهه ، كأنما لا يروق له هذا ، فى حين راح (نور) يجرى اتصالاته مع رجال الأمن الداخلى ، ورفاقه صامتون تمامًا ، يتطلعون إلى خريطة (الإسكندرية) ، ويتساءلون : ترى كيف يمكن أن تكون المواجهة ، مع مخلوقات رهيبة كهذه ؟!..

وماذا يمكن أن تسفر عنه ؟!..

ماذا ؟!..

* * *

على الرغم من إدراكها لما يمكن أن تواجهه من آلام ، شعرت تلك الحسناء بنشوة عجيبة ، وهى ترقد على منضدة الفحص ، والعالم الكهل يعد ذلك السائل الوردى العكر ، ويمزجه بسائل أحمر آخر ، استخلصه من نخاع دولفين شاب ، ثم وضع كل هذا فى جهاز طرد مركزى خاص ، يحوى زوجين من أشعتين مختلفتين ، وأداره وهو يسأل الفتاة :

ـ خائفة ؟

أجابته ، وهى تحاول الابتسام فى توتر :

ـ نوعًا ما .

أومأ برأسه ، وهو يفحص عظمة القص لديها ، قائلاً :

ـ سيكون الألم شديدًا فى البداية ، ولكننى أعدك أن تكون النتائج مدهشة .

غمغمت ، فى توتر أكثر :

ـ هذا ما أتعشمه .

توقَّف الجهاز آليًا ، فالتقط منه ذلك السائل الوردى ، الذى مال إلى الحمرة ، وسحبه فى محقن خاص ، ذى إبرة شديدة الصلابة ، وقال ، وهو يتحسَّس موضع الحقن :

ـ لسنا نتعشَّم هنا ..

ثم غرس الإبرة فى عظمة القص ، مستطردًا فى حزم :

ـ بل نثق .

أطلقت صرخة ألم هائلة ، وانتفض جسدها كله فى عنف ، واتسعت عيناها عن آخرهما ، قبل أن تفقد وعيها تمامًا ..

وفى قلق ، غمغم أحد الشابين الآخرين :

ـ هل ستكون بخير ؟!

أجابه فى صرامة :

ـ لا تقلق .

ثم التفت إليه ، يسأله :

ـ وماذا عنك ؟

التقط الشاب نفسًا عميقًا ، وقال :

ـ أشعر بالقوة بالفعل .

أجابه ، وهو يعيد بقايا السائل الوردى العكر إلى برَّاد خاص :

ـ ولكنك لم تختبرها بعد .

تمتم الشاب فى حذر :

ـ عندما يحين الوقت المناسب .

أشار العالم الكهل بيده ، قائلاً :

ـ لا يوجد أبدًا وقت مناسب .. الاختبار هو ما يحفز الجينات الجديدة ، ويطلقها فى أعماقك .

سأله الشاب :

ـ هل أذهب إذن ؟

لم يجبه العالم الكهل ، وإنما التفت إلى الشاب الثانى ، قائلاً :

ـ وأنت لم تختبر قدراتك الجديدة .

ابتسم الشاب الثانى ، وكشر عن أنياب حادة مخيفة ، أطلق من بينها لسانًا مشقوقًا ، يقطر بسُم الثعابين ، وهو يجيب :

ـ لقد فعلت .

سأله فى اهتمام :

ـ والنتائج ؟

أجابه فى ثقة :

ـ قاتلة .

أغلق الكهل عينيه فى ارتياح ، وقال :

ـ عظيم .. عظيم .

ثم فتحهما ، وقال للشاب الأوَّل فى صرامة :

ـ انطلق .

وانطلق الشاب على الفور ؛ لاختبار قوته ..

وقدرته على المواجهة ..

والقتل ..

* * *

ألقى قائد فرقة الحصار الأمنى نظرة طويلة ، عبر منظاره الرقمى المقرِّب ، على تلك الفيلا الكبيرة ، المقامة وحدها ، فى تلك المنطقة المقفرة البعيدة عن العمران ، بين (المعمورة) و(أبى قير) ، والمحاطة بسور مكهرب ، يغطى مساحة الفراغ الهائلة حولها ، ثم خفض منظاره ، والتفت إلى (نور) ، قائلاً فى توتر :

ـ تلك اللافتة التى هناك ، تشير إلى أننا أمام أملاك خاصة ، والقانون لا يبيح لنا المساس بها ، دون إذن قضائى .

قال (نور) فى حزم :

ـ ومن قال أننا سنمسها ؟!

سأله الرجل فى حدة :

ـ لماذا نحاصرها إذن ؟!

أجابه (أكرم) فى صرامة ، وهو يتأكَّد من حشو مسدسه :

ـ حتى لا يفروا .

قال قائد الحصار فى عصبية :

ـ أخشى أن هذا أيضًا غير قانونى .

تجاهله (نور) تمامًا هذه المرة ، وهو يلتفت إلى رفاقه ، قائلاً :

ـ ستبقون هنا ؛ لترصدوا كل شىء ، داخل وخارج المكان ، وسنتسلَّل هناك ، (أكرم) وأنا ، ونغرس أدوات الرصد ، ثم ...

قاطعه قائد الحصار :

ـ هذا أيضًا غير قانونى .

التفت إليه (أكرم) فى صرامة شرسة :

ـ اصمت .

انعقد حاجبا الرجل فى غضب ، فى حين قالت (سلوى) فى قلق :

ـ لا تنسيا تشغيل أجهزة الرصد الحرارى يا (نور) ؛ حتى يمكننا معرفة موقعكما ، فى كل لحظة .

غمغم :

ـ سنفعل بإذن الله .

أشار إليه (رمزى) ، وهو يقول متوترًا :

ـ إذا ما التقيتما بهم ، فتذكَّر أنهم ليسوا بشرًا مثلنا .. إنهم مزيج من البشر والوحوش .

تمتم (نور) ، وهو يحاول كتمان توتره :

ـ سنبذل قصارى جهدنا .

التفت (أكرم) إليه ، ولوَّح بمسدسه ، قائلاً :

ـ هيا .

وعلى الرغم من اعتراض قائد فرقة الحصار ، اتجه كلاهما نحو الفيلا المنعزلة ..

وبدأت المواجهة ..

القاتلة .

* * *

5 ـ اقتحـــام ..

سارت دورية الشرطة بسيارتها الإليكترونية ، المزوّدة بأجهزة الفحص والاستكشاف الحديثة ، فى منطقة (سموحة) ، وتجاوزتها إلى الطريق الصحراوية ، التى تصل (القاهرة) بـ (الإسكندرية) ، وراحت تقطع طريقها فى بطء ، متفقّدة ما حولها ، والشمس توشك على الغروب .. وفجأة أطلق أحد أجهزتها أزيزًا متصلاً ، جعل أحد أفراد طاقمها يعتدل ، وهو يقول فى اهتمام قلق :

ـ هناك جسم يقترب فى سرعة !

سأله قائد السيارة فى آلية :

ـ ما نوعه ؟

أجابه فى بطء ، وهو يراجع بيانات الجهاز :

ـ سرعته تقارب سرعة سيارة صغيرة ، ولكن حجمه ...

لم يتم عبارته ، فقال قائده فى صرامة :

ـ لماذا الحيرة ؟.. استخدم جهاز الرصد بالموجات الصوتية .

ضغط الرجل زرًا آخر ، فارتسمت على شاشة الجهاز صورة موجية ، جعلت حاجبيه يرتفعان فى دهشة ، وهو يهتف :

ـ مستحيل !

سأله الثالث :

ـ وما المستحيل ؟

أجابه فى عصبية :

ـ إنه بَشَرِىّ .

ضغط قائده فرامل السيارة فى دهشة ، والتفت إليه هاتفًا :

ـ بهذه السرعة ؟!

وهتف الثالث ، وهو يحدّق فى الشاشة :

ـ مستحيل!

لم يكد ينطقها ، حتى صك مسامع ثلاثتهم صهيل جواد قوى ، ثم وثب جسم ما على سطح السيارة ، وراح يضربه بقوائمه فى عنف ، جعل الثالث يصرخ :

ـ انطلق يا رجل .. انطلق .

ضغط القائد دوّاسة وقود السيارة فى قوة ، ولكن سقف السيارة تحطّم فى عنف ، فى هذه اللحظة ، وامتدت يد ذات مخالب حادة ، وأمسكت الشرطى الثالث من عنقه ، وانتزعته من

مكانه فى عنف ، والمخالب الحادة تنغرس فى عنقه ، وتطلق شلالاً من الدم ، من وريده الوَدَجِىَ ، فصرخ الثانى فى رعب :

ـ انطلق يا رجل .. انطلق !

كان قائد السيارة ينطلق بها فى سرعة بالفعل ، ولكن تلك القبضة الرهيبة ظلت تعتصر عنق زميله ..

وتعتصره ..

وتعتصره ..

وجحظت عينا الرجل ، فى ألم ورعب ، وسالت دماؤه فى غزارة ، تغرق السيارة ، وتناثرت على زميليه ، فصرخ قائد السيارة بالآخر ، وهو يواصل الانطلاق بأقصى سرعته :

ـ أطلق النار يا رجل .. أطلق النار .

انتزع الثانى مسدسه الليزرى ، وأطلق منه رصاصة ، اخترقت سقف السيارة ، فانطلق صهيل آخر أكثر قوة ، ويحمل رنة ألم ، قبل أن تضرب القوائم العنيفة السقف مرة ..

وثانية ..

وثالثة ..

ثم أفلتت اليد ذات المخالب الثلاثة ، واختفت ، وأطلق الثانى طلقة ثانية ..

وثالثة ..

وقبل أن يطلق الرابعة ، انطلق صهيل غاضب ، ثم اخترقت تلك اليد الرهيبة السقف مرة ثانية ، وانغرست مخالبها فى عينى الثانى هذه المرة ..

وأطلق الثانى صرخة ألم رهيبة ، ومقلتا عينيه تتفجران ، والدماء تنزف منهما فى غزارة ، وراحت سبَّابته تطلق أشعة الليزر عشوائيًّا ، فى أى وكل اتجاه ..

واخترقت أشعته ظهر قائد المركبة ، فانحرف بها بحركة حادة ، لتخرج عن نهر الطريق ، وتنقلب فى عنف ، وأخذت تتدحرج ..

وتتدحرج ..

وتتدحرج ..

وفى أثناء انقلابها ، وثب ذلك الشىء عن سقفها ، وتوقَّف يضرب الأرض بحافريه الخلفيين لحظة ، وشاهد النار تشتعل فى السيارة ، ثم أطلق صهيلاً قويًّا ، وانطلق يعدو مبتعدًا كجواد قوى ..

ونصف بشرى ..

أو غير بشرى ..

على الإطلاق ..

* * *

غمغم (أكرم) فى توتر ، وهو يقف مع (نور) ، إلى جوار ذلك السور المكهرب :

ـ لو أن هناك تيارًا بقوة خمسمائة فولت ، يعبر هذا السور ، فكيف يمكننا تجاوزه ؟!

أجابه (نور) فى هدوء :

ـ لا تقلق نفسك .

ورفع ساعة الاتصال إلى شفتيه ، وقال :

ـ الآن يا (نشوى) .

مضت لحظات من الصمت ، قبل أن تجيبه (نشوى) فى اقتضاب حازم :

ـ تم .

تساءل (أكرم) مبهورًا :

ـ هل فعلتها ؟!

أجابه (نور) ، وهو يبدأ فى تسلُّق السور :

ـ (نشوى) دخلت برنامج الكهرباء الرئيسى ، ومنه إلى كمبيوتر التحكُّم داخل الفيلا ، وأوقفت التيار مؤقتًا .

تسلَّق (أكرم) السور بدوره ، وهو يغمغم :

ـ رائعة هى ابنتك يا (نور) .

غمغم (نور) :

ـ هذا حقيقى .

وثب كلاهما إلى الجانب الآخر ، واستل (أكرم) مسدسه ، وهو يقول بشىء من العصبية :

ـ ألا يمكنها تحديد مكانهم أيضًا ؟!

غمغم (نور) :

ـ بعد أن نغرس أنظمة الفحص ، داخل الفيلا .

مطَّ (أكرم) شفتيه ، دون أن يعلِّق بحرف واحد ، وراح كلاهما يتسلَّل فى حذر ، عبر المساحة الواسعة ، المحيطة بالفيلا ، فى محاولة لبلوغ أى من مداخلها ، دون أن يشعر بهما أحد ..

ولكن إحدى مميزات القرن الحادى والعشرين هى التكنولوجيا ، التى تطورَّت بشدة ، وأصبحت متاحة للجميع ..

حتى الأشرار ..

وفى معمل ذلك العالم الكهل ، أضىء مصباح أحمر صغير ، فى جهاز دقيق ، فى ركن المعمل ، وانبعث منه أزيز متصل ، جعل الشاب يلتفت إليه فى توتر ، قبل أن يزمجر على نحو وحشى ، ويكشِّر عن أنياب حادة ، وهو يقول :

ـ دخلاء .

اتجه الكهل نحو الجهاز فى هدوء ، قائلاً :

ـ كنت أعلم أن هذا سيحدث ، إن عاجلاً أو آجلاً .

أشار الشاب إلى الفتاة ، قائلاً :

ـ ولكنها لم تستعد وعيها بعد .

بدا الكهل شديد الهدوء ، كأنما الأمر لا يعنيه ، وقال :

ـ سنفعل ، خلال دقائق عشر ، على الأكثر .

زمجر الشاب مرة أخرَى ، وتحرك لسانه السام المشقوق خارج فمه فى عصبية ، قبلَ أن يسأل :

ـ وماذا عنهم ؟!

هزَّ الكهل كتفيه ، وجلس فى هدوء شديد ، على مقعد مجاور لمنضدة الفحص ، التى ترقد عليها الفتاة ، وأجاب :

ـ لقد اقتحموا أملاكًا خاصة .

والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يكمل :

ـ وسيكون عليهم أن يواجهوا نظم أمننا .

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، كان (نور) و(أكرم) يقتربان من المدخل الخلفى للفيلا ، وقائد فرقة الحصار يتابعهما بمنظاره المقرَّب ، مغمغمًا :

ـ أعتقد أنهما سيجدان طريقهما .

قالت (نشوى) ، وأصابعها تتحرك فى سرعة ، على أزرار الكمبيوتر :

ـ سأحاول معاونتهما بقدر الإمكان .. أنا على وشك دخول شبكة الإنذار بالفيلا ، وسأحاول إيقاف كل نظمها .

مطَّ قائد الحصار شفتيه ، وغمغم فى عصبية :

ـ كل شىء هنا غير قانونى .

قال (رمزى) فى حزم :

ـ ألا يمكنك تجاوز هذه النقطة ؟!

أجابه الرجل فى حزم :

ـ ليس وأنا أحمل هذه الرتبة .

كان (رمزى) يرغب فى مجادلته حول هذا ، لولا أن قالت (سلوى) فجأة فى توتر :

ـ أرصد نبذبات تحت أرضية .

سألها قائد فرقة الحصار :

ـ وماذا يعنى هذا ؟!

أجابته ، وتوترها يتصاعد :

ـ يعنى أن هناك جسمًا ضخمًا ، يقترب من (نور) و(أكرم) .

ثم رفعت إليهم وجهًا شاحبًا ، مستطردة :

ـ تحت الأرض .

تفجَّرت دهشة عارمة على وجوههم ، وهمت (نشوى) بالاستفسار عن الأمر ، لولا أن برز ذلك الشىء من تحت الأرض بغتة ، أمام (نور) و(أكرم) مباشرة .. واتسعت عينا (نور) فى دهشة ، فى حين تراجع (أكرم) هاتفًا :

ـ رباه !.. ما هذا ؟!

فذلك الشىء ، الذى برز أمامهما ، كان مذهلاً ورهيبًا .. بكل معنى الكلمة .

* * *

فجأة ، أطلقت تلك الحسناء صرخة ..

صرخة قوية ، فتحت عينيها بعدها فى ارتياع ، وحدّقت فى الكهل ، الذى ابتسم ، قائلاً فى هدوء :

ـ حمدًا لله على سلامتك .

سألته ، وهى تشعر بألم شديد فى ظهرها وجانبيها :

ـ هل .. هل نجح الأمر ؟

أجابها بنفس الابتسامة :

ـ بالتأكيد .

ثم حلَّ وثاقها ، وهو يردف :

ـ أنت الآن الدليل الحى ، على نجاحى وعبقريتى ، فى مجال الجينات وهندسة الوراثة .. لقد سبقت علوم هذا العصر بكثير .. وعبقريتى جعلت ما يرونه مستحيلاً ، ممكنًا ، وأنتم خير برهان ..

ربما يرفضون استخدام تقنياتى ، يصفونها بأنها غير آدمية ، وغير مفيدة للبشرية .. وقد يصفها البعض بالوحشية ، ولكنهم حتمًا سيعترفون بعبقريتى ، التى أنكروها كثيرًا وطويلاً .. والجيوش ستُفيد منها حتمًا .. ستسعى لابتكار جيش رهيب ، لا يشق له غبار .. جيش من أمثالكم .

ونهض وعيناه تلتمعان فى جنون ، ولوَّح بيديه فى الهواء ، كأنه يؤدى دورًا فى مسرحية قديمة ، مستطردًا فى حماس مسرحى :

ـ احتمالات غير محدودة ، يمكن أن يصنعوا منها جيوشًا خرافية .. حاولى أن تتخيلى جنودًا بدروع سلاحف ، ومقاتلين بقوة الأسود ، ورجال مظلات بأجنحة نسور ، ومستطلعين بعيون صقور .. خيال غير نهائى ، يمكن أن يتحولّ إلى حقائق ، فى ساعات محدودة .

غمغمت ، وهى تنهض فى بطء :

ـ أبى .. أنت عبقرى .

هتف :

ـ دون أدنى شك .

ابتسمت ، وربتته فى حنان ، فأدار يده ، وأمسك يدها ، وبسط أصابعها ، وهو يقول :

ـ لقد بدأ التحور .

تطلَّعت بين أصابعها ، حيث ينظر ، والتمعت عيناها فى انبهار ، عندما شاهدت ذلك الغشاء الجلدى ، الذى يمتد بينها ..

لقد بدأ التحور بالفعل ..

وسيمنحها قوة هائلة ..

قوة فى البر ..

وفى البحر ..

* * *

ذهول عارم ، ذلك الذى سيطر على الجميع هناك ، عند تلك الفيلا المنعزلة .. فدون مقدمات ، برزت من تحت الأرض سحلية عملاقة ..

سحلية فى حجم إنسان ناضج ..

لها لسان ثعبان ..

وذيل ثعلب ..

وأنياب ذئب ..

وجناحا خفاش ..

ولقد خرجت لتنقض على (نور) و(أكرم) ..

مباشرة ..

كانت تنقض بأنيابها الحادة على (أكرم) ، عندما تراجع هذا الأخير بحركة حادة ، أنقذته من تلك الأنياب المخيفة ، ثم أخرج مسدسه ؛ ليطلق رصاصاته عليها ، وهو يصرخ فى انفعال :

ـ لست فريسة سهلة إلى هذا الحد .

ولكن السحلية العملاقة أطلقت لسانها نحوه ، ولفته على مسدسه ، وانتزعته من يده فى قوة ، وضربت بجناحيها الهواء ، وهى تلقى المسدس بعيدًا ، وتلتفت إليه مرة أخرى ، وهى تطلق فحيحًا ، يشبه فحيح جيش من الأفاعى ..

وفى اللحظة نفسها أطلق (نور) مسدسه الليزرى نحو رأسها مرة ..

وثانية ..

وثالثة ..

وفى المرات الثلاث ، ارتطمت الأشعة بالرأس الحرشفى ، ثم انحرفت عنه فى عنف ، دون أن تخترقه ..

وفى غضب ، استدارت السحلية العملاقة المتحوِّرة ، نحو (نور) ، وأطلقت فحيحها الوحشى ، فصرخت (سلوى) بقائد الحصار فى ارتياع :

ـ افعل شيئًا يا رجل .. افعل شيئًا !

أجابها الرجل فى عصبية :

ـ لا يمكننى إصابتها ، دون أن أجازف بإصابة أحدهما !

صاح (رمزى) :

ـ سيبقى الآخر على الأقل !

تردَّد الرجل لحظة ، فهتفت به (نشوى) :

ـ ماذا تنتظر ؟!

فى نفس اللحظة ، التى أطلقت فيها هتافها ، كان (نور) يتفادى انقضاضة السحلية المتحوِّرة العملاقة ، ويعدو بكل قوته ، نحو السور المحيط بالفيلا ..

وبأقصى سرعته ، ومع انفعاله الشديد ، اندفع (أكرم) ، محاولاً استعادة مسدسه ، وتلك السحلية تطارد (نور) .. وعندما استعاد مسدسه ، كان (نور) يحاول بلوغ السور ، والمسافة بينه وبين السحلية العملاقة تقل ..

وتقل ..

وتقل ..

وتمتم قائد فريق الحصار ، وهو يشير إلى أحد قناصيه :

ـ إنه يحاول الفرار منها .

أجابته (نشوى) فى انفعال ، وأصابعها تعمل فى سرعة ، على أزرار الكمبيوتر :

- بل يقودها نحو السور .

كان (نور) يقترب من السور بالفعل ، وهو يتمنى أن يبلغه ، قبل أن تبلغه تلك السحلية العملاقة ، التى أدركت سرعة عدوه ، ففردت جناحيها ، وارتفعت عن الأرض ، فى طريقها إليه ..

ومع جناحيها الخفاشيين القويين ، كان من المستحيل أنِ يربح (نور) هذا السباق ، فقد انقضت عليه من أعلى ، وهى تبرز مخالبها الحادة ، فصرخت (سلوى) ، بكل ارتياع الدنيا :

- يا إلهى .. (نور) !

وفى اللحظة نفسها ، أطلق القنّاص رصاصته ..

ولكن السحلية انخفضت بسرعة مخيفة ..

وأنشبت مخالبها فى سترة (نور) ..

وتجاوزتها رصاصة القنّاص ..

وبالنسبة للجميع ، بدا واضحًا أن (نور) قد خسر السباق ..

وخسر حياته ..

حتمًا ..

* * *

مخيفة حقًا تلك المخلوقات الرهيبة ، التى تحرس تلك الفيلا المنعزلة ..

مخيفة وعجيبة ..

للغاية ..

ذلك العالم الكهل عبث بالجينات ، على نحو يخالف كل القواعد والأعراف ..

وحتى الأخلاقيات الإنسانية ..

نجاحه فى ابتكار وسيلة شيطانية ، لدمج جينات الفصائل المختلفة بعضها ببعض ، أثار شهوته لابتكار كائنات جديدة ..

كائنات تحمل صفاتٍ متداخلة ..

متعارضة ..

ومذهلة ..

ولقد جمع فى تلك السحلية الطائرة ، التى تركها لحماية فيلته الخاصة ، كل الصفات الجينية الوحشية ، الكفيلة بابتكار كائن رهيب ..

منحها جين الحجم من البشر ..

وجين السم من الثعابين ..

والأجنحة من الخفافيش ..

وأنياب الذئاب ..

وجينات من حيوانات وزواحف أخرى مختلفة ..

ولقد منحها هذا قوة كبيرة ..

ورهيبة ..

قوة جعلتها تنقض على (نور) ، وتحمله إلى أعلى ، وأنيابها الثعبانية تندفع نحو عنقه ، لتبث فيه سمها ، و ...

وفجأة ، انطلقت ثلاث رصاصات ..

رصاصات تقليدية ، كان لها دوى عجيب ، فى تلك المنطقة المقفرة ، وهى تخترق رأس السحلية العملاقة ، وصدرها وعنقها ..

وأطلقت السحلية الرهيبة فحيحًا أخيرًا رهيبًا ..

وضربت الهواء بجناحيها مرة أخيرة ..

ثم هوت ..

هوت بجملها ، الذى انتزع نفسه من سترته ، ووثب بعيدًا ، ليتدحرج مبتعدًا عن موضع سقوطها ، قبل أن ترتطم بالأرض فى عنف ..

وفى لهفة شديدة القلق ، خفض (أكرم) فوهة مسدسه ، التى ما زال الدخان يتصاعد منها ، بعد أن عبرتها الرصاصات الثلاث ، وانطلق يعدو نحو (نور) ، صائحًا :

ـ (نور) .. أأنت بخير ؟!

أشار إليه (نور) ، وهو ينهض ، قائلاً :

ـ اطمئن يا صديقى .. أنا بخير .

زفر (أكرم) مغمغمًا فى ارتياح :

ـ حمدًا لله .. حمدًا لله .

شاركه الجميع ارتياحه هناك ، عند دائرة الحصار ، فيما عدا قائد الفرقة ، الذى قال فى عصبية :

ـ أى مكان هذا ، الذى نحاصره بالضبط ؟!

أجابه (رمزى) فى توتر :

ـ ربما هو الجحيم نفسه ، أو ...

قبل أن يكمل عبارته ، شهقت (نشوى) ، هاتفة فى رعب :

ـ ربـاه !

التفت الجميع إلى الفيلا ، حيث تنظر هى ، واتسعت عيونهم فى رعب مماثل ..

فهناك ، كان على (نور) و(أكرم) أن يواجها تجربة جديدة ، من تجارب ذلك العالم الكهل ..

تجربة رهيبة .

إلى أقصى حد يمكن تخيله .

* * *

6ـ أنفاس نارية ..

التقطت الحسناء نفسًا عميقًا ، وهى تَبْـرُز من حوض الماء الضخم ، وهزّت رأسـها فى انتعاش ، وهى تبتسم للعالم الكهل ، الذى سألها فى اهتمام :

ـ إيجابى ؟

أومأت برأسها مجيبة :

ـ بالتأكيد .. لقد قضيت تحت الماء ما يقرب من ربع الساعة .

مطَّ شفتيه ، مغمغمًا :

ـ هذا لا يكفى .

غادرت الحوض ، قائلة :

ـ ربما مع التدريب المستمر .

هزّ رأسه نفيًا ، وهو يقول فى صرامة :

ـ كلا .. أنت تعرفين القاعدة .

أومأت برأسها متفهمة ، وقالت :

ـ الاختبار .

أشار بيده ، قائلاً :

ـ بالفعل .. الاختبار هو الذى يصنع التوازن الجينى ، ويفجِّر الطاقات الكامنة .

جفَّفت جسدها ، متسائلة :

ـ وأين تقترح ذلك الاختبار ؟

اتجه نحو خريطة ورقية قديمة لمدينة (الإسكندرية) ، معلقة بإهمال على أحد جدران معمله ، وتأمَّلها لحظات ، قبل أن يقول :

ـ الاختبار ليس لتفجير قدراتك فحسب ، ولكن لإثبات قوة هذه السلالة الجديدة أيضًا .

غمغمت :

ـ هذا ما لقنتنا إياه .

أشار بيده إلى المنطقة الساحلية ، بالقرب من (رأس التين) ، وقال :

ـ هذه المنطقة تخص القوات البحرية الحديثة ، وهى تقوم بعمل دوريات منتظمة طوال الوقت ، وزوارقهم مزوَّدة بأحدث نظم الرادار وسبر الأغوار ، ووفقًا لتقاريرهم ، المعلنة على

شبكة الإنترنت ، لم تفشل دورياتهم ولو مرة واحدة ، منذ عشر سنوات على الأقل .

استوعبت ما يرمى إليه ، فغمغمت :

ـ وعلينا أن نعطيهم فشلهم الأوّل .

عقد كفيه خلف ظهره ، وهو يقول :

ـ وعلى نحو مهين .

تألّقت عيناها فى نشوة ، وهى تقول :

ـ ومتى ؟!

أجاب فى حزم :

ـ الليلة .

تألّقت عيناها أكثر ، وارتسمت على شفتيها ابتسامة جزلة ، وسألته :

ـ وماذا عن الدخلاء ؟

ابتسم فى ثقة ، مجيبًا :

ـ سيلاقون ما يذهلهم .

وكان على حق ..

فما واجهه (نور) و(أكرم) هناك ، فى ساحة تلك الفيلا ، كان مذهلاً ..

إلى حد مخيف ..

* * *

« مستحيل ! »

هتف (أكرم) بالعبارة فى ذهول ، وهو يحدّق فى ذلك الكائن ، الذى خرج من الباب الخلفى للفيلا ، ووقف أمامهم متحديًا ...

كان عبارة عن أسد هائل الحجم ، تحيط مَعْرَفَته الشقراء بوجه شبه بشرى ، له أنياب بارزة ، وعلى ظهره فوقعة هائلة ، أشبه بدروع سلحفاة عملاقة ، أما ذيله فقد كان ذيل ثعبان ضخم ..

وبينما يدير ذيله الثعبانى فى الهواء ، زأر ذلك الأسد بصوت رهيب مخيف ، وضرب الأرض بقائمه الأمامى ، وهو يتحرك نحو (نور) و(أكرم) فى تحفّز ..

وفى ذهول مذعور ، هتفت (سلوى) :

ـ رباه !.. ما تلك الأشياء ؟!

غمغم (رمزى) مرتجفًا :

ـ ألم أقل لكم ؟!.. إننا فى الجحيم نفسه !

انعقد حاجبا قائد فرقة الحصار ، وشعر بانفعال جارف ، يسرى فى أعماقـه ، دون أن ينطق بكلمـة واحدة ، فهتفت (نشوى) ، تنتزعه من ذهوله :

ـ القناصة !

انتفض الرجـل ، وهـو ينتزع نفسـه مـن ذهولـه ، وأشـار إلى القناصة ، هاتفًا :

ـ أطلقوا النار !

استخدم القنَّاصة مناظير الرؤية الليلية ، بعد أن هبط الظلام على المكان ، وصوَّبوا بنادقهم الليزرية نحو ذلك الكـائن ، وهتف بهم قائدهم :

ـ أطلقوا النار !

أطلق ثلاثة منهم أشعة الليزر ، فى حين أطلق الثلاثة الآخرون رصاصات تقليدية مضادة للدروع .

ولكن ذلك الكائن تحرَّك بسرعة مذهلـة ، كمـا لـو أنـه قد قرأ أفكارهم مسبقًا ، وأحاط جسده بذلـك الـدرع ، الـذى يحملـه خلف ظهره ، والذى تمدَّد على نحو عجيـب ، كمـا لـو أنـه ينجذب إلى الرصاصات وأشعة الليزر ، وصدَّها كلها فى براعة مذهلـة ، قبل أن يزمجر مرة أخرى ..

وفى هذه المرة ، كانت زمجرته رهيبة بحق ..

لقد انطلق معهـا ، من أعمـاق حلقـه ، لسـان من نـار ، امتـدّ لمسافة هائلة ؛ ليشعل ثياب القناصة الستة دفعة واحدة ..

وصرخ الرجـال ، وهم يتقلبـون أرضًـا ، ويَعْدُون محـاولين التخلُّص من النيران ، فى حين تراجع الباقون ، و(نشوى) تقول فى هلع :

ـ يا إلهى !.. أبى !

كـان (نـور) و(أكرم) مذهولَيْن لمـا يحدث ، ولكـن هذا لـم يفقدهما السيطرة على عقليهما ، فرفع (أكرم) مسدسه ، وأطلـق رصاصتين سريعتين ، نحو ذلك الكائن ..

وبسرعة مذهلة ، امتدّ الدرع ، ليَصد الرصاصتين ..

ثم التفت الكائن إلى (أكرم) ..

ونفث نيرانه ..

وبأقصى سرعة ، وثب (نور) يحتضن (أكرم) ، ويبعـده عن مسار لسان النار القاتل ، فسقط الاثنان أرضًا ، و(أكرم) يهتف :

ـ إنه لا ينهزم يا (نور) !

غمغم (نور) ، وهو ينهض فى سرعة :

ـ لا يوجد كائن لا ينهزم .

كان الكائن يضرب بذيله الهواء ، ويديره على نحو مخيف ، وهو يقترب منهما فى حذر متحفز ، فقال (أكرم) فى عصبية :

ـ لابد أن أعيد حشو مسدسى .. لم تتبق لى سوى رصاصة واحدة !

قال (نور) فى حزم :

ـ أطلقها .

غمغم (أكرم) ، وهو لا يرفع عينيه عن ذلك الكائن ، الذى يواصل اقترابه ، فى تحفُّز حيوان مفترس :

ـ ولكن ذلك الدرع ...؟!

أجابه (نور) فى حسم :

ـ أطلقها على قائمته الأمامية .

زمجر الكائن مرة أخرى ، دون أن ينفث نارًا هذه المرة ، وواصل اقترابه ، فقال (أكرم) فى خفوت عصبى :

ـ فليكن !

وفى حركة سريعة ، رفع فوهة مسدسه ..

وأطلق النار ..

وعلى عكس ما توقَّع هو ، أو توقَّع الآخرون ، أصابت رصاصته قائمة الكائن مباشرة ..

وبصوت مزعج ، تحطَّمت قائمته ..

ومال جسده كله ..

وارتطم رأسه بالأرض ..

وهتفت (سلوى) فى انتعاش :

ـ لقد فعلها .. أكرم فعلها !

غمغم (رمزى) :

ـ مدهش !..

أما (نشوى) ، فتمتمت فى قلق عارم :

ـ وماذا عن رد الفعل ؟!

وكانت على حق فى قلقها هذا ..

لقد نجح (أكرم) ، وباغت ذلك الكائن الرهيب ..

وأصابه ..

ولكنه لم يقتله ..

لم يقتل كائنًا رهيبًا ، ينفث النار من بين أنيابه القاتلة ..

ومن الطبيعى أن يسعى الكائن الغاضب للانتقام ..

ولقد حدث ما توقَّعته بالضبط ..

ففى بطء ، وبغضب واضح رهيب ، نهض ذلك الكائن ، وزمجر زمجرة أخرى ، خالية من النيران ..

ومعتمدًا على قوائم ثلاث فحسب ، واجه (نور) و(أكرم) .

وبينما يحاول (أكرم) إعادة حشو مسدسه ، بأقصى سرعة ممكنة ، أطلق (نور) أشعة مسدسه الليزرية ، نحو القائمة الأمامية الأخرى للكائن ..

أطلقها مرة ..

وثانية ..

وثالثة ..

ورابعة ..

ولكن ذلك الدرع العجيب صد كل دفعات الأشعة ، فى سرعة مذهلة ، ثم اعتدل ذلك الكائن بعدها ، وواجههما فى غضب ، ثم أطلق زمجرته ..

تلك الزمجرة النارية القاتلة ، والتى انطلقت نحو (نور) و(أكرم) ..

مباشرة .

* * *

مع دفء الطقس وهدوء البحر ، انطلقت دورية البحرية الحديثة ، على مسافة قريبة نسبيًّا من شاطئ الإسكندرية ، على نحو روتينى تمامًا ، وبدا أفرادها هادئين ، وهم يتابعون أجهزتهم ، ويراقبون سطح البحر ، الممتد شمالاً إلى ما لا نهاية ، وغمغم قائدهم ، وهو يسترخى فى مقعد معدنى صغير ، عند مقدمة زورق الدورية :

- ليلة اعتيادية أخرى .

ابتسم ضابطه الأوَّل ، وهو يقول :

- وما الذى تتوقعه أيها القائد ؟!.. إنه ليس زمن الحروب .. ونظم الأقمار الصناعية الراصدة تفسد كل عمليات التهريب والتسلُّل إلى المياه الإقليمية تمامًا .

ابتسم القائد فى تراخ ، وهو يقول :

ـ لهذا تأتى تقاريرنا دومًا إيجابية .

ضحك الضابط الأوَّل ، قائلاً :

ـ لا يمكن أن تفشل فيما لا تفعله .

أشار القائد بيده ، قائلاً :

ـ بالضبط .

لم يكد ينطقها ، حتّى بلغ مسامعه أزيزُ جهاز رصد الأعماق ؛ فاعتدل ، وهتف بالمراقب الفنى :

ـ ماذا هناك ؟!

أجابه المراقب ، فى قلق ملحوظ :

ـ جسم يقترب فى سرعة .

هبَّ القائد من مقعده ، والتفت الضابط الأوَّل ، متسائلاً :

ـ جسم معدنى ؟!

تردَّد المراقب لحظات ، فهتف به القائد فى غضب صارم :

ـ لم تجب السؤال !

اعتدل المراقب ، قائلاً فى سرعة :

ـ إنه ليس جسمًا معدنيًا .

اتجه الضابط الأوَّل نحوه ، وهو يسأله :

ـ ما هو إذن ؟!

تردَّد المراقب لحظة أخرى ، قبل أن يجيب ، فى شىء من الحذر :

ـ إنه كائن .

قال القائد فى غضب :

ـ أى كائن .. دولفين أم قرش ، أم ماذا ؟!

تردَّد المراقب مرة أخرى ، فأزاحه الضابط الأوَّل فى خشونة ، قائلاً :

ـ ماذا قال عنه الكمبيوتر ؟!

ابتعد المراقب ، وهو يغمغم :

ـ الكمبيوتر عجز عن تحديده .

غمغم القائد فى توتر ، وهو يتجه إليه بدوره :

ـ لماذا ؟!.. أكائن جديد هو ؟!

تطلَّع الضابط الأوَّل إلى شاشة الكمبيوتر ، متمتمًا فى دهشة :

- يبدو أنه كذلك بالفعل !

دار القائد ؛ لينظر إلى الشاشة بدوره ، وارتفع حاجباه فى دهشة ، وهو يقول :

- عجبًا .. إنها صورة أشبه بعروس البحر الأسطورية !

هتف الضابط الأوَّل :

- بالضبط .. وهى الآن ...

اتسعت عيناه عن آخرهما ، قبل أن يكمل :

- تحتنا تمامًا !

وبحركة غريزية ، نظر الثلاثة تحت أقدامهم ، فى آن واحد ..

وفى اللحظة نفسها ، ارتطم ذلك الجسم بأسفل زورق الدورية ، فى عنف شديد .. ومع الارتطام المباغت ، فقد الثلاثة توازنهم ، وهتف قائد الزورق من أعلى :

- ماذا يحدث ؟!

عقب كلمته ، حدث الارتطام الثانى ..

ثم الثالث ..

وبكل توتر الدنيا ، سحب القائد مسدسه ، وصاح بقائد الزورق :

- انطلق بأقصى سرعة .. ابتعد عن هذا المكان .. فورًا !

ولكن فجأة ، وقبل أن يطيع الزورق أوامره ، وثب ذلك الكائن من البحر ، إلى الزورق مباشرة ، على نحو عجيب ..

واستدار الكل يواجهونه فى دهشة ..

وذعر ..

وتحفز ..

ثم تجمَّدوا فى ذهول ..

فأمامهم مباشرة ، كانت تقف حسناء فاتنة ..

فتاة ، فى أواخر العشرينات من عمرها ، شقراء الشعر ، واسعة العينين ..

ومن ظهرها تبرز زعنفة ..

زعنفة كبيرة حادة ، مثلثة الشكل ، أشبه بتلك الموجودة على ظهر سمك القرش ..

وعندما رفعت الحسناء يدها أمامها ، وهى تبتسم ابتسامة غير مريحة ، كانت هناك أغشية خفيفة ، بين أصابعها ..

أغشية بحرية ، أشبه بتلك التى فى يد الضفادع الكبيرة ..

كانت كائنًا عجيبًا ..

نصف بشرى ..

ونصف سمكة ..

وبكل ذهوله ، غمغم القائد :

- ما هذا بالضبط ؟!

ومع نهاية سؤاله ، كشّرت الحسناء عن أنيابها ..

أنياب حادة طويلة مثلثة ، أشبه بأنياب أسماك القرش ..

وبوثبة واحدة ، انقضت على الرجال الثلاثة ..

وفى أعلى ، انتفض جسد سائق الزورق بمنتهى العنف ..

واتسعت عيناه برعب ..

بمنتهى منتهى الرعب ..

* * *

الحرق كان مصير (نور) و(أكرم) حتمًا ..

ذلك الكائن كان يواجههما مباشرة ، ويستعد لنفث نيرانه فى جسديهما ، بكل غضبه وقوته ..

ولم يكن لديهما مهرب ..

أى مهرب .

ولكن فجأة ، انطلق فى المكان أزيز قوى ..

أزيز كاد يخترق آذان (نور) و(أكرم) ..

وذلك الكائن أيضًا ..

وكان من الواضح أنه يؤذيه أكثر مما يؤذيهما ..

لقد ارتفع منتصبًا على نحو عجيب ، وهو يطلق صرخته المخيفة ..

وفى اللحظة نفسها ، انطلقت كل الأسلحة ..

كل القنّاصة أطلقوا أسلحتهم ..

الأسلحة الليزرية ..

والعادية ..

والمضادة للدروع ..

حتى (أكرم) ، راح يطلق رصاصاته فى غزارة ، بعد أن أعاد حشو مسدسه ..

وفى هذه المرة ، اخترقت كل الطلقات بطن الكائن ، التى أصبحت مواجهة للكل ، بعد أن أجبره ذلك الأزيز العنيف على الانتصاب ، دون درع يحميه ..

وأمام العيـون كلهـا ، اندفع الكائن إلى الخلف ، وارتطم بجـدار الفيلا بمنتهى العنف ، و ...

ودوى الانفجار ..

انفجار شديد العنف ، أطاح بالفيلا كلها ، وكاد يطيح بـ (نـور) و(أكرم) أيضًا ، لولا أن اندفع ذلك الكائن نحوهما ، فتلقى درعه الخلفى كل الصدمة والشظايا ..

وفى حركة سريعة ، وثب (أكرم) يحتضن (نـور) ، ويبعده عن جسد الكائن ، الذى سقط أرضًا فى عنف ، وبدوى شديد ، يكاد يقارب دوى الانفجار نفسه ..

ولثوان ، بدت أشبه بدهر كامل ، راحت الشظايا تتساقط فى كل مكان ، و(أكرم) ما زال يحتضن (نور) فى شدة ..

وهناك ، على القبة المواجهة للفيلا ، راحت (نشوى) تهتـف ، وهى تلهث بشدة ، من فرط الانفعال :

ـ خطتك نجحت يا أمى .. نجحت !

كانت (سلوى) تلهث بدورها ، مع خوفها الشديد على (نور) و(أكرم) ، وسقوط الشظايا يتواصل ..

ويتواصل ..

ويتواصل ..

أما قائد قوات الحصار ، فقد غمغم فى عصبية :

ـ هذا فخ .. فخ !

تمتم (رمزى) فى توتر شديد :

ـ بالضبط .. لقد جذبونا إلى فخ ، مؤمَّن بكائنات عجيبة ، حتى يبدو حقيقيًا .

وصمت لحظة ، ثم أضاف :

ـ يا لهم من خبثاء !

كانت الأمور تهدأ تدريجيًا ، فهتفت (سلوى) :

ـ (نور) و(أكرم) .. أنقذوا (نور) و(أكرم) .

اندفع الجميع نحو الفيلا ، التى تحطَّمت تمامًا ، وسارت أنقاضاً متناثرة ، ممتزجة بدماء الكائنات وأشلائها ، والحطام فى كل مكان ..

ومن بين هذا الحطام ، نهض (نور) فى بطء ، جعل (سلوى) تهتف :

ـ حمدًا لله .. حمدًا لله !

وتعلَّقت (نشوى) بعنق زوجها (رمزى) ، وهى تقول :

ـ لقد نجا أبى يا (رمزى) .. نجا !

احتضنها (رمزى) فى رفق ، وهو يغمغم فى قلق :

ـ وماذا عن (أكرم) ؟!

واتسعت عيون (سلوى) و(نشوى) فى ارتياع ..

نعم .. ماذا عن (أكرم) ؟!

فى نفس اللحظة ، التى دار فيها التساؤل فى أذهانهم ، كان (نور) يلتفت إلى أكرم ، الذى ما زال يتشبث به ، وهو يقول :

ـ (أكرم) .. لقد نجونا ..

انعقد حاجباه فى شدة ، مع مرأى بقعة دم كبيرة ، فى ظهر (أكرم) ، فراح يهزه فى شدة ، هاتفًا :

ـ (أكرم) .. ماذا أصابك ؟!

ولكن (أكرم) لم يجب ..

لم يجب مطلقًا .

* * *

7ـ مخالب وأنياب ..

اندفع رجال الإسعاف ، داخل ممر مستشفى (الإسكندرية) العام ، وهم يدفعون أمامهم محفَّة متحركة ، يرقد عليها (أكرم) فاقد الوعى ، منبطحًا على وجهه ، وأحدهم يحاول منع النزيف ، من جرح كبير فى ظهره ..

وخلفهم ، راح أفراد الفريق يلحقون بهم ، والقلق يكاد يعصف بنفوسهم ، و(نور) يقول :

ـ أسرعوا بالله عليكم .. إنه رجل أمن ، يحتاج إلى إسعاف عاجل .

ظهر الدكتور (حجازى) أمامهم ، فى قسم الجراحة ، وهو يلوِّح بيده ، قائلاً :

ـ اطمئن يا (نور) .. كل شىء مُعَدّ ؛ لإسعاف (أكرم) بأقصى سرعة .

ثم أشار إلى المسعفين ، هاتفًا :

ـ إلى حجرة العمليات مباشرة .

أسرع المسعفون بـ (أكرم) إلى حجرة العمليات ، فى حين أمسك (نور) كتف الدكتور (حجازى) ، قائلاً فى انفعال :

ـ كيف وصلت قلبنا ؟

أجابه الدكتور (حجازى) :

ـ كنت هنا أساسًا يا (نور) ... هناك مصاب من هجوم جديد .

بُهِتَ (نور) ، وهو يغمغم :

ـ هجوم جديد ؟!

وضع الدكتور (حجازى) يده على كتفه ، قائلاً :

ـ نعم يا (نور) .. هذه المرة كان الهجوم فى البحر .. ثلاثة قتلى من رجال البحرية الحديثة ، ومصاب واحد .. إنه مصاب بصدمة نفسية ، أكثر مما هو مصاب جسديًا .

قال (نور) فى عصبية :

ـ هذا عجيب للغاية !

أومأ الدكتور (حجازى) برأسه موافقًا ، وقال :

ـ بالتأكيد .. إنه أوَّل هجوم بحرى .

أشار (نور) بسبَّابته ، قائلاً :

ـ ليس هذا فحسب ، ولكنهم تركوا مصابًا أيضًا .

انعقد حاجبا الدكتور (حجازى) ، كأنما فوجئ بهذا ، وغمغم :

ـ هذا صحيح .

أدار (نور) عينيه نحو حجرة العمليات فى قلق ، فغمغم الدكتور (حجازى) :

ـ هناك طاقم من أمهر الأطباء ، يهتم بأمر (أكرم) الآن .. اطمئن .

بدا القلق على وجه (نور) لحظات أخرى ، ثم التفت إلى الدكتور (حجازى) ، قائلاً :

ـ أريد رؤية ذلك المصاب ، بأسرع وقت ممكن .

تردَّد الدكتور (حجازى) ، قبل أن يقول :

ـ ولكنه مصاب بصدمة نفسية عنيفة .

استدار (نور) إلى (رمزى) ، قائلاً :

ـ (رمزى) .. نحتاج إليك .

سأله (رمزى) فى توتر :

ـ فيم ؟!

لم تمض دقائق على سؤاله هذا ، حتى كان يقف مع (نور) والدكتور (حجازى) ، أمام سائق زورق البحرية ، الذى بدا ذاهلاً مذعورًا ، على الرغم من وجوده داخل المستشفى ، حتى إنه لم يشعر بوجودهم ، والدكتور (حجازى) يشير إليه ، قائلاً :

ـ قائده ، والضابط الأوَّل ، والمراقب الفنى ، تم تمزيقهم إربًا إربًا أمام عينيه ، وهو نفسه كاد يلقى مصرعه .

غمغم (نور) :

ـ كيف نجا إذن ؟!

هزَّ الدكتور (حجازى) رأسه ، وقال :

ـ لا أحد يدرى .. لقد عثرت عليه دورية البحث ، التى خرجت خلف الزورق ، بعد أن توقَّف عن البث ، ولم يستجب للاتصالات ، وكان ذاهلاً مصدومًا ، ولم ينطق بكلمة واحدة ، حتى أحضروه إلى هنا .

انعقد حاجبا (رمزى) ، وهو يتطلَّع إلى الرجل ، ثم اتجه نحوه فى هدوء ، ولمس ذراعه فى رفق ، فجفل الرجل ، والتفت إليه مذعورًا ، فابتسم (رمزى) ، قائلاً :

ـ لم يعد هناك خطر يا رجل .. أنت هنا بيننا .. لقد انتهى الأمر .

انفرجت شفتا الرجل ، وتمتم فى صعوبة :

ـ نعم .. كل شىء انتهى .

ربَّت (رمزى) كفه ، قائلاً فى هدوء عميق :

ـ أنت الآن فى أمان .

غمغم الرجل فى مرارة :

ـ وماذا عنهم ؟!

سأله (رمزى) بالصوت نفسه :

ـ من ؟

غامت عيناه بالدموع ، واختلط حزنه بخوفه ، وهو يقول :

ـ هم .. القائد .. والضابط الأوَّل .. والمراقب .. ماذا عنهم ؟!

وصمت لحظة ، ثم تساءل بصوت مرتجف :

ـ هل .. هل نجوا ؟!

تجاهل (رمزى) سؤاله تمامًا ، ومال نحوه يسأله :

ـ من هاجمهم ؟

شرد ببصره ، كأنه يسترجع ذكرى مرعبة ، وأجاب :

ـ كانت تبدو كسمكة قرش .. ولكن الواقع أنها .. أنها ..

لم يكمل عبارته ، فسأله (نور) فى توتر :

ـ أنها ماذا ؟!

أدار عينيه إليه ، كأنه يراه لأوّل مرة ، وتمتم :

ـ عروس بحر .

قال (رمزى) فى دهشة :

ـ ماذا ؟!

ارتفع صوت الرجل فى عصبية ، وهو يقول :

ـ عروس بحر !

ثم صرخ فى انفعال :

ـ عروس بحر قاتلة !

أمسك (رمزى) ذراعه ، ولكنه دفعه بعيدًا فى عنف ، وهو يصرخ :

ـ لقد هاجمَتْهم بلا رحمة .. ومزقتهم .. مزقتهم فى وحشية شديدة .

قال (رمزى) ، فى اهتمام شديد ، على الرغم من محافظته على هدوء صوته :

ـ ولكنها تركتْكَ .

كان (نور) شديد التوتر واللهفة لسماع جواب الرجل ، فأمسك بكتف الدكتور (حجازى) ، وضغطها بشدة ، دون أن يشعر ، فقال الدكتور (حجازى) فى ألم :

ـ مهلاً يا (نور) .

لم يسمعه (نور) ، وهو يركِّز اهتمامه كله على الرجل ، الذى بدا شديد الشرود ، وهو يغمغم فى حيرة عجيبة :

ـ تركتنى ؟!

قال (رمزى) ، محاولاً استعادة سيطرته على الموقف :

ـ نعم .. تركتك .. أنت حى الآن .. أليس كذلك ؟!

ارتسم الذعر على وجه الرجل ، وهو يحدِّق فى وجه (رمزى) ، قائلا :

ـ تركتنى ؟!.. نعم .. ولكن لماذا ؟!

غمغم (نور) ، فى اهتمام وتوتر شديدين :

ـ نعم .. لماذا ؟!

التفت إليه (رمزى) بنظرة صارمة ، خشية أن يفسد هذا عمله ، ولكن الرجل بدا شديد الشرود والذعر ، حتى إنه لم يشعر بوجود من حوله ، وهو يقول :

ـ لقد التفتَتْ إلىَّ ، بعد أن مزَّقتهم تمزيقًا ، وتصوَّرت أنها ستنقض علىَّ ، وستمزقنى بأسنانها الشبيهة بأسنان القرش .

تبادل (نور) و(رمزى) والدكتور (حجازى) نظرة صامتة متوترة ، ثم قال (نور) ، وهو يشد قامته فى حزم شديد :

ـ صف لى عروس البحر تلك .

التفت إليه الرجل ، بتلك النظرة الملتاعة ، فأكمل بنفس الحزم :

ـ حتى ننتقم لرفاقك .

بدت عليه لهفة لحظية ، قبل أن تعود المرارة إلى ملامحه ، وهو يغمغم :

ـ كيف ؟!

أجابه الدكتور (حجازى) :

ـ لدينا وسائلنا .

صمت الرجل لحظات ، ثم أشار بيده ، قائلاً :

ـ لا ريب فى أنها هناك .

سأله (نور) فى اهتمام :

ـ أين ؟

أشار بيده ، قائلاً فى شرود :

ـ فى كمبيوتر المراقبة .

التمعت عينا (نور) ، عندما سمع العبارة ..

نعم .. كمبيوتر المراقبة فى الزورق ..

كيف فاته هذا ؟!

كيف ؟!..

« لابد من أن نحصل على سجلات كمبيوتر الزورق .. »

قالها فى حزم ، وهو يمسك ذراع (رمزى) فى قسوة ، فقال (رمزى) ، وهو يخلص ذراعه منه :

ـ كل ما يحتاج إليه الأمر ، مجرَّد خطاب رسمى إلى القوات البحرية .

قال (نور) فى حزم :

ـ سأجرى اتصالاتى ، لنحصل عليه فورًا .

كان يضغط زر ساعة الاتصال بالفعل ، عندما اندفعت (نشوى) داخل الحجرة ، هاتفة :

ـ أبى .. أين أبى ؟!

التفت إليها الكل فى سرعة ، وسألها (نور) فى انفعال :

ـ ماذا هناك ؟!

أمسكت بذراعيه ، وهى تهتف فى ارتياع :

ـ (أكرم) يا أبى .. (أكرم) !

واتسعت عيون الكل فى ذعر ..

فعبارتها كانت تشير إلى أمر خطير ..

خطير للغاية .

* * *

« عظيم .. »

نطق العالم الكهل الكلمة فى ارتياح شديد ، وعيناه تلتمعان ببريق مدهش ، بعد أن استمع إلى ما أخبره به الشاب ، الذى هاجم دورية الشرطة ، وما أبلغته به الحسناء القرش ، وتراجع فى مقعده ، وشبَّك أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يقول :

ـ إذن فقد تركتِ سائق الزورق حيًّا ؛ حتى تصل الرسالة .

ابتسمت الحسناء ، ورفعت أحد حاجبيها وخفضته ، وهى تقول :

ـ هذا ما أمرتنى به .

التقط نفسًا عميقًا ، ليسترخى فى مقعده ، وهو يقول :

ـ هكذا سيعرفون أننا هنا .. وأننا الأقوى .

قال الشاب الثانى فى حزم :

ـ وأننا نستطيع السيطرة عليهم .

اعتدل العالم بحركة حادة ، ورفع سبَّابته ، قائلاً فى صرامة :

ـ وفقًا لخطة مدروسة .

تبادل الشبان الثلاثة نظرة قلقة صامتة ، وقالت الحسناء فى حذر :

ـ بالتأكيد .

هبَّ من مقعده ، وقال فى لهجة ، تفوح برائحة الغضب :

ـ قوتكم كلها من صنعى أنا .. أنا منحتكم كل ما تمتلكونه .. منحتكم القوة ، والتفرد ، والمنهج المستقبلى ، و ...

قاطعه أحد الشابين فى ضيق :

ـ والعزلة .

انعقد حاجبا العالم فى شدة ، وهو يلتفت إليه بنظرة حادة غاضبة ، ولكن الشاب أكمل ، كأنه لا يبالى بغضبه :

ـ صحيح أننا أصبحنا أقوى من حولنا ، ولكننا حتى لم نعد مثلهم .. لقد أصبحنا كائنات عجيبة .. كائنات من سلالة مختلفة .

هتف العالم فى غضب :

ـ سلالة تسود !

تدخلت الحسناء ، قائلة :

ـ لا أحد يمكنه الجزم .

صاح فى ثورة :

ـ إنها سنة الحياة ، منذ بدء الخليقة .. البقاء دومًا للأقوى .. تاريخ الأرض يثبت هذا ، وكذلك نظرية النشوء والارتقاء(*) .. أنتم ستبقون ، بعد أن يفنى العالم كله .

قال الشاب الجواد فى مرارة :

(*) نظرية النشوء والارتقاء : نظرية وضعها (داروين) فى كتاب (أصل الأنواع) ، وهى تعتمد على ثلاثة مبادئ رئيسية : الطفرة ، التى تحدث تحسنًا فى النوع الواحد ، قادرًا على مقاومة الظروف البيئية المحيطة ، والبقاء للأقوى ، حيث تحيا الكائنات المحسنة ، وتموت الأضعف ، ثم الوارثة ، التى تنقل الصفات المحسنة إلى الأجيال التالية .

ـ لو أن هذه قاعدة أساسية ، لبقيت الديناصورات وفَنِىَ البشر ، ولكن هذا لم يحدث ؛ لأن البقاء ليس دومًا للأقوى ، بل كثيرًا ما يكون للأذكى والأبرع .

نقل العالم بصره بين ثلاثتهم فى سخط ، وقال فى حدة :

ـ لقد انتقيتكم من بين أذكى العقول ، والبراعة أمر مكتسب ، وأنا أدفعكم إلى تجارب مختلفة ، تكسبكم الخبرة والبراعة ، وبالإضافة إلى هذا ، أمنحكم كل يوم قوة إضافية .

قال الشاب النسر فى ضيق :

ـ وسمة غير آدمية .. أنا أصبحت نسرًا ، وهى نصف دولفين ونصف قرش ، وهو جواد .. كيف يمكن أن يصبح هذا ممتعًا ؟!

لوَّح العالم بقبضته ، هاتفًا :

ـ بالإحساس بالقوة .. بالتميز .

غمغمت الحسناء :

ـ تقصد بالاختلاف .

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يدير بصره مرة أخرى بين وجوههم ، قبل أن يعود إلى مقعده ، ويقول فى صرامة غاضبة :

ـ أشتم رائحة تمرُّد .

تبادل الثلاثة نظرة صامتة ، دون أن يجيب أحدهم ؛ مما ضاعف من غضبه ، وهو يقول :

ـ تذكَّروا أنكم تمتلكون القوة ، ولكن دون المناعة .

تساءل الجواد فى قلق :

ـ ما الذى يعنيه هذا ؟!

قال العالم فى صرامة :

ـ يعنى أن تتذكَّروا ما حدث هناك .. عند تلك الفيلا الفخ ، التى جذبناهم إليها ، وواجهناهم فيها بتلك الوحوش ، التى أجريت عليها تجارب الاندماج الأولى .. كلكم كنتم ترون أن هذه الكائنات منيعة ، ولكنهم هزموها .. ودمروها ، وانفجار الفيلا الفخ هو الدليل على هذا ... الجهاز الذى زرعناه فى جسد (الأرماديللو)(*) ، نسف الفيلا فور مصرعه .

غمغم النسر فى عصبية :

ـ ولماذا تخبرنا هذا ؟!

هبَّ من مقعده مرة أخرى ، وهو يقول فى غضب :

(*) الأرماديللو : كائن مدرّع ، شبه الفأر ، مع درع كبير خلف ظهره ، وهو يحيا فى المناطق الصحراوية ، فى أمريكا الجنوبية والمكسيك والجزء الجنوبى فى (أمريكا) الشمالية .

ـ حتى تنتبهوا إلى أن هذا يمكن أن يحدث معكم أيضًا .. لقد استعديتم الجميع ، وأسقطتم عدة ضحايا ، ولم يعد بإمكانكم التراجع .

غمغمت الحسناء :

ـ أنت فعلت بنا هذا .

أشار إليها هاتفًا :

ـ مهما كان ما حدث .. لم يعد بإمكانكم التراجع .

ثم أشار إلى صدره ، مستطردًا :

ـ ولم يعد بإمكانكم التخلِّى عنى أيضًا .

صهل الجواد ، قائلاً فى صرامة :

ـ المفترض أننا الأقوى .

أشار العالم بذراعيه ، هاتفًا :

ـ بالنسبة إلى كل البشر .

ثم ضرب صدره بقبضته ، مضيفًا :

ـ إلا أنا .

تبادلوا نظرة حائرة متسائلة هذه المرة ، فأكمل هو :

ـ لقد زرعت فى جسدى جهازًا ، يماثل ذلك الذى زرعته فى جسد (الأرماديللو) ، وإذا ما توقَّف قلبى عن النبض لحظة ، سيسقط ثلاثتكم صرعى ، فى لحظة واحدة .

صدمهم قوله ، وهتفت به الحسناء فى مرارة :

ـ ولكننا كنا نعتبرك بمثابة والدنا .

قال فى صرامة :

ـ والوالد عليه أن يحمى أبناءه ...

وضاقت عيناه ، وهو يضيف :

ـ ويؤدبهم ...

وأشار بيده ، قائلاً :

ـ إذا ما حاولوا الخروج من سيطرته .

صمت الشبان الثلاثة لحظات ، ثم غمغمت الحسناء :

ـ لا يمكننا حتى أن نفكر فى هذا .

وأضاف الجواد :

ـ كانت مجرَّد مناقشة ، بين أب وأبنائه .

وأكمل النسر :

ـ وما زلنا ننتظر أوامرك يا ... يا أبى .

أدار عينين ظافرتين فى وجوههم ، ثم عاد إلى مقعده ، وعاد يشبك أصابعه أمام وجهه ، وقال :

ـ علينا أن نستعد الآن ، لخوض الجولة الثانية .

سألته الحسناء فى حذر :

ـ وما هى ؟

أشار بيده ، قائلاً :

ـ فى الجولة الأولى ، أصبناهم بالحيرة ، وفى الثانية أربكناهم ، وفى الثالثة أبرزنا أنيابنا ومخالبنا ، وجعلناهم يدركون مدى جرأتنا ، وقوتنا .. والآن ، حانت الجولة الرابعة .

سأله الجواد فى حذر :

ـ وما هى ؟!

التمعت عيناه ، وهو يجيب :

ـ الحرب !

تفجَّرت الدهشة فى وجوههم ، وغمغم النسر فى قلق :

ـ الحرب على من ؟!

هتف العالم فى شهوة عجيبة :

ـ على العالم كله !

تضاعفت دهشتهم بشدة ، ولم ينبس أحدهم ببنت شفة ، فتـابع وعيناه تتألقان على نحو عجيب :

ـ سنبدأ عملية تصفية السلالات .. سنحقق مبدأ (البقاء للأقوى) ، وسنضرب ضربتنا ؛ لتحقيق الانتخاب الطبيعى .

غمغم الجواد :

ـ نحن مجرَّد ثلاثة .

هتف :

ـ وستصبحون ألفًا أو أكثر .

سألته الحسناء بمنتهى الحذر :

ـ وكيف ؟!

تألَّقت عيناه أكثر ، وهو يقول :

ـ سنضيف إلينا مجموعة منتقاة للغاية .

سأله النسر فى اهتمام :

ـ مـن ؟!

أجاب فى انتعاش عجيب :

ـ الفريق .. فريق (نور) .

وكان هذا تطورًا جديدًا ..

ومخيفًا .

* * *

8ـ فريق الوحوش ..

« لقد توقَّف قلبه عن النبض .. »

نطقها كبير جراحى مستشفى (الإسكندرية) فى أسف ، فغمغم (نور) فى أسى :

ـ وكيف حدث هذا ؟!

هزَّ كبير الجراحين كتفيه ، وقال :

ـ لقد نزف الكثير من الدم ، والإصابة كانت فى موضع شديد الحساسية ، و ...

قاطعته (سلوى) فى لهفة :

ـ ولكنكم أسعفتموه ؟!

ابتسم قائلاً :

ـ من حسن الحظ ، وتوفيق الله (سبحانه وتعالى) .. كنا قد أيقنا بوفاته ، عندما أشار الكمبيوتر إلى وجود نبضات بالغة الضعف ، فانكب أحد الأطباء الصغار على محاولة إنعاش قلبه ، بكل الوسائل الممكنة ، وعندما كاد ييأس ، استخدمنا طريقة حديثة ، كانت حتى اليوم موضع تجريب فحسب ، فغرسنا

اليكترودًا رفيعًا فى قلبه مباشرة ، وأوصلناه بتيار كهربى مدروس ، مسببين صدمة محدودة ، أنعشت القلب مباشرة .

انسالت دموع (نشوى) ، وهى تقول :

ـ إذن فقد نجا !

أومأ كبير الجراحين برأسه ، مجيبًا :

ـ حمدًا لله !

تفجَّرت الدموع من عينيها فى غزارة ، وأجْهَشَت بالبكاء ، فاحتواها زوجها (رمزى) بين ذراعيه ، وربَّتها فى رفق ، وهو يسأل :

ـ ومتى يمكننا أن نراه ؟

أشار كبير الجراحين بيده ، قائلاً :

ـ إنه تحت تأثير عقار منوِّم ومسكِّن ، وسيفيق بعد ساعة تقريبًا ، وعندئذ يمكنكم رؤيته .

تنهَّد (نور) ، مغمغمًا :

ـ عظيم .. لقد كادت قلوبنا تتوقَّف ، عندما أخبرونا أن قلبه قد فعلها .

ابتسم كبير الجراحين ، قائلاً :

ـ الآن يمكنكم الاسترخاء .. لقد نجا والحمد لله .

ابتسم (نور) فى ارتياح ، والتفت إلى رفاقه ، قائلاً :

ـ أظن أن أفضل ما نفعله لزميلنا الآن ، هو أن نواصل عملنا .

تمتمت (نشوى) :

ـ وأن ننتقم له .

قال (رمزى) فى حزم :

ـ بالضبط .

فى نفس اللحظة التى نطقها فيها ، كانت أجنحة قوية ترفرف فوق سطح المستشفى ، ثم هبط الشاب النسر فوقه ، وتلفت حوله فى توتر ، وهو يطوى جناحيه الضخمين خلف ظهره ، ويطلق من حلقه فحيحًا أشبه بفحيح الثعابين ، وهو يخرج لسانه المشقوق ، ويضرب به الهواء البارد فى سرعة ، ثم يعيده إلى حلقه ..

ولثوان ، ظل ساكنًا صامتًا على السطح ، حتى اطمأن إلى أن أحدًا لم يشعر بهبوطه ، ثم زحف نحو حافة السطح ، كما لو كان ثعبانًا ضخمًا ، وأمسك الحافة ، ثم مال ينزلق عليها من الخارج إلى أسفل ..

وفى الوقت نفسه ، دخل الشاب الجواد مع الحسناء إلى المستشفى ، من باب الطوارئ ، واتجهت هى إلى الطبيب مباشرة ، قائلة :

ـ شقيقى مصاب بتوتر عصبى شديد ، ويحتاج إلى عقار مهدئ .

نقل الطبيب بصره بينها وبين الشاب ، وقال فى هدوء :

ـ لا يمكن صرف المهدئات ، دون حاجة ملحة ، وكشف طبى دقيق .

قالت فى برود :

ـ لدينا حاجة ملحة .

قال الطبيب فى حزم :

ـ فليخضع شقيقك للكشف الطبى إذن .

ابتعدت قليلاً ، وهى تقول ، فى لهجة أقرب إلى السخرية :

ـ حاول !

لم يفهم الطبيب ما تعنيه ، والتفت إلى الشاب بنظرة متسائلة ، ثم اتسعت عيناه بكل دهشة الدنيا ، وهو يتراجع فى رعب ..

ففجأة ، تحوّر النصف السفلى من الشاب على نحو عجيب ..

فجأة ، بدا أشبه بقائمتَىْ جواد ..

ثم تحول إلى قوائم أربع ..

وجسم ..

وذيل كبير ..

وعندما أطلق الشاب ذلك الصهيل القوى ، داخل حجرة طوارئ المستشفى ، كان نصفه السفلى كله قد تحوّل إلى جسد جواد أبيض قوى ..

وحتى قبل أن يطلق الطبيب صرخة رعب ، كان الشاب قد استدار ، ورفسه فى صدره بقائمتيه الخلفيتين بكل قوته ..

وطار جسد الطبيب المسكين فى الهواء ، ليرتطم بالجدار فى عنف شديد ، ثم يسقط على وجهه فاقد الوعى ، محطّم الصدر ، والدماء تسيل من بين شفتيه غزيرة ..

وفى جذل عجيب ، هتفت الحسناء :

ـ هيا بنا .

اندفع اثنان من رجال الأمن داخل المكان ، فى هذه اللحظة ، واتسعت عيونهما فى دهشة ذاهلة ، عندما وقع بصرهما على ذلك الكائن ، وتسمرا فى مكانيهما لحظة ..

وكانت تلك اللحظة أكثر من كافية ..

ففيها ، انقضت الحسناء ..

انقضت بأنياب قرش ، انغرست فى أعناق الرجلين ، وأسقطتهما ..

وفى شراهة قرش أبيض مفترس ، راحت تلتهم ..

وتلتهم ..

وتلتهم ..

حتى انطلقت تلك الصرخة الهائلة ..

ممرضة قسم الطوارئ ، شاهدت ذلك المشهد البشع ، وأطلقت صرخة رعب ..

شاهدت شابًا نصف جواد ..

وحسناء تلتهم رَجُلَىْ أمن ، والدماء تغرق وجهها ..

وبحركة سريعة ، اندفع الجواد نحوها ..

وانقضت عليها الحسناء ..

ولكن الممرضة وثبت بكل رعبها ، نحو زر الطوارئ ، وضغطته قبل لحظة واحدة من انغراس أنياب الحسناء فى عنقها ..

وفى المستشفى كله ، انطلق الإنذار ..

وبلغ مسامع (نور) وفريقه ، فهتف هذا الأخير ، بكل توتر الدنيا :

ـ تُرى هل ...

ثم سحب مسدسه ، قبل أن يكمل عبارته ، وصاح فى رفاقه وأطباء الجراحة :

ـ انتظروا هنا .

اندفع (رمزى) معه ، هاتفًا :

ـ لن تذهب وحدك .

صاح به (نور) ، فى صرامة آمرة :

ـ انتظر لتحمى الآخرين .

تسمَّر (رمزى) فى مكانه ، فى حين اندفع (نور) ؛ لمعرفة ما يحدث بالضبط ..

وكم افتقد (أكرم) ، فى هذه اللحظة !

كم !

منذ التحق بالفريق ، وهو توءم روحه ، ورفيق قتاله ..

لم يعد يشعر بالأمان ، إلا فى وجوده ..

يثق فى قدرته ـ وحده ـ على حماية ظهره ..

وحده دون سواه من البشر ، بعد حماية الخالق (عزَّ وجلَّ) ..

فى نفس اللحظة ، التى دارت فيها أفكاره حول (أكرم) ، كان هذا الأخير يرقد على فراشه ، وقد بدأ تأثير العقار ينجاب عن رأسه ، وخُيِّل إليه أنه يسمع حركة ما ، عند نافذة حجرته ..

حركة أشبه بجسم ضخم ، ينزلق داخلاً فى نعومة ..

وعلى الرغم من ضعفه ، والدوار الذى يكتنف رأسه ، غمغم :

ـ (نور) .. أهو أنت ؟!

شعر بذلك الجسم يزحف نحوه ، دون أن يسمع جوابًا ، فهتف :

ـ (نور) .. أين أنت يا (نور) ؟!

التقطت أذنا (سلوى) هتافه الضعيف هذا ، فقالت فى لهفة :

ـ لقد استعاد وعيه !

انتقلت لهفتها إلى الكل ، فاندفعوا نحو حجرة (أكرم) ، وصاح بهم الطبيب المعالج ، فى قلق شديد :

ـ مهلاً .. ليس جميعكم فى آن واحد !

دفعت (سلوى) باب الحجرة ، قائلة :

ـ سأدخل وحدى أولاً ، و ...

بترت عبارتها دفعة واحدة ، وانتفضت كل ذرة فى كيانها ، عندما وقع بصرها على ذلك المشهد الرهيب ، فى حجرة (أكرم) ..

لم يكن (أكرم) قد استعاد وعيه بعد ..

حتى لم يكن فى فراشه ..

كان بين ذراعى كائن شبه آدمى ..

أو نصف آدمى ..

عيناه المشقوقتان طوليًا ، ولسانه الشبيه بلسان ثعبان ، كانت تؤكِّد أنه ليس آدميًا ..

وكذلك الجناحان ، المنطويان خلف ظهره ..

وعندما ارتطمت عيناه بعينى (سلوى) ، أطلق فحيحًا عصبيًا متوترًا ، ثم اندفع بحمله نحو النافذة ..

وبكل رعب الدنيا ، صرخ الطبيب المعالج :

ـ الأمن .. أبلغوا الأمن !

وتحرَّك (رمزى) ، محاولاً أن يفعل شيئًا ..

أى شىء ..

وشهقت (نشوى) مذعورة ..

ولكن ذلك الكائن بسط جناحيه ، ليملأ فراغ الحجرة كلها ، وأطلق فحيحًا آخر ، ثم عاد يطوى جناحيه ، ويندفع مع (أكرم) عبر النافذة ، حيث بسط جناحيه ثانية ، وانطلق يحلق بحمله بعيدًا ..

بعيدًا ..

وسط الظلام ..

الدامس .

* * *

فى نفس اللحظة ، التى اقتحم فيها (نور) حجرة (أكرم) ، فى مستشفى (الإسكندرية) ، كان الشاب النسر يندفع عبر النافذة ، وينطلق مبتعدًا ، حاملاً (أكرم) ، الذى لم يستعد كامل وعيه بعد ، فصاحت (سلوى) فى هلع :

ـ (نور) .. أطلق أشعة مسدسك يا (نور) .. أوقفه !

كان (نور) يصوِّب مسدسه الليزرى إلى الشاب النسر بالفعل ..

ولكنه لم يطلق النار ..

وفى انفعال جارف ، كرَّرت (سلوى) :

ـ أوقفه يا (نور) !

قال (نور) فى توتر :

ـ وماذا عن (أكرم) ؟!

صرخت :

ـ إنه يختطفه !

هتف بها :

ـ ولو أسقطناه سيسقط معه !

انتبهت فجأة إلى الموقف ، الذى غاب عن ذهنها ، من فرط انفعالها ، فاتسعت عيناها عن آخرهما فى ارتياع ، وهى تحدِّق فى النسر البشرى ، الذى بدأ يختفى فى الظلام بحمله ، وتفجَّرت الدموع من عينيها ، وهى تقول فى مرارة :

ـ وهل سنتركه له ؟!

لم يُحِرْ جوابًا ، وهو يقبض على مقبض مسدسه ، فى قوة انفعالية ، قبل أن يضغط زرًا فى ساعة اتصالاته ، قائلاً :

ـ أريد اتصالاً مباشرًا بالقمر الصناعى ، فورًا .

فوجئ بصوت أنثوى من خلفه ، يقول فى مزيج من السخرية والشراسة :

ـ لست أظنك تجد الوقت لتتبعه !

استدار الكل فى سرعة إلى مصدر الصوت ، وشهقت (سلوى) فى دهشة مذعورة ، فى حين انعقد حاجبا (نشوى) فى شدة ، وهتف (نور) :

ـ عروس البحر ؟!

كانت الحسناء نصف القرش تقف عند باب الحجرة ، وقد برزت زعنفتها الخلفية الحادة ، وأطلَّت أنيابها الحادة ، الشبيهة بأنياب القرش ، من فكيها ، اللذين اتخذا هيئة عجيبة مخيفة ، تجمع ما بين البشر والدولفين ..

وفى سرعة ، صوَّب (نور) مسدسه الليزرى إليها ..

ولكنها انقضت فى سرعة ..

انقضَّت ، لا على (نور) ، ولكن على (نشوى) ..

فى حركة سريعة غير متوقَّعة ، تجاوزت (سلوى) ، وأمسكت (نشوى) من كتفيها ، ووضعت أسنانها الحادة على عنقها ، فصرخ (نور) و(سلوى) فى آن واحد :

ـ لا !

تألّقت عينا الحسناء ، وهى تقول :

ـ تريدانها حية .. أليس كذلك ؟!

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، فى حين هتفت (سلوى) :

ـ أرجوك .

أصدرت الحسناء صوتًا حادًا ، أشبه بأصوات الدلافين ، وهى تقول :

ـ لو تحرّك أحدكما خطوة واحدة ، سأقضم عنقها بلا رحمة .

حاولت (نشوى) التملّص منها ، ولكنها أمسكت ذراعيها بقوة مخيفة ، أجبرتها على الثبات ، فهتفت بأبويها :

ـ أوقفوها .. أوقفوها ، حتى لو كانت حياتى هى الثمن !

أطلقت الحسناء صوتًا ساخرًا ، وقالت :

ـ ما تطلبينه مستحيل يا فتاتى ، حتى لو أردتِه مخلصة ؛ لأنهما أبوان ، ولن يضحيا بحياتك مهما حدث .

تمالك (نور) أعصابه ، أو حاول هذا ، وهو يقول :

ـ سنعقد صفقة معًا .

قالت الحسناء فى سخرية :

ـ صفقة ؟!

أجابها فى توتّر :

ـ اتركى (نشوى) ، وسنتركك تنصرفين من هنا .

أطلقت ضحكة ساخرة ، امتزج فيها صوتها البشرى بأصوات سمكية مختلفة(*) ، وهى تقول :

ـ صفقة مرفوضة أيها الذكى .. سأخرج من هنا تحت سمعكم وبصركم ، دون أن يجرؤ مخلوق واحد منكم ، على أن يمسنى بسوء .

بدت (سلوى) مذعورة ، وهى تلتصق بـ(نور) ، الذى قال فى عصبية :

ـ وماذا لو أطلقت النار على رأسك الآن ؟!

قالت ساخرة :

ـ حاول أن تسبق أسنانى ، التى ستنهش عنق ابنتك أمام عينيك ، لو تراقصت سبّابتك على زناد مسدسك ..

(*) تثبت الدراسات أن الأسماك تصدر أصواتًا فيما بينها ، وأن بعض أنواعها تتخاطب بتلك الأصوات ، التى يمكن سماع بعضها بالأذن المجردة . وأشهر أنواع الأسماك المتحدثة الدولفين ، الذى يملك جهازًا صوتيًا متطورًا .

بدا عليه التوتر الشديد ، وتعلَّقت به (سلوى) فى ارتياع شديد ، فتابعت الحسناء ، وهى تتراجع مع (نشوى) ، نحو باب الحجرة :

- ولاحظ أننى أتمتَّع ببصر قرش أبيض ، اعتاد السباحة فى أعماق سحيقة ، ومهاجمة فرائسه ، فى ظلام شبه دامس .

كان الموقف عسيرًا بالفعل ..

(أكرم) تم اختطافه أمام عيونهم ، وها هى ذى (نشوى) ، قد تواجه المصير نفسه ، دون أن يملكوا ما يفعلونه ..

وعروس البحر الوحشية تلك لديها خطة ما حتمًا ..

خطة تعرفها ..

ويجهلونها ..

ولكنه لن يسمح باختطاف ابنته ، أمام عينيه وعينى زوجته ، دون أن يحرِّك ساكنًا ..

سيقاوم ..

وسينقذ ابنته ..

ولكن كيف ؟!

كيف ؟!

تلك المتوحِّشة تملك بصرًا حادًا ، وأسنانًا أكثر حدة ، وسرعة تفوق سرعته حتمًا ؛ مما يجعل سرعتها فى إيذاء (نشوى) ، تفوق سرعته فى إنقاذها ..

ولكن هناك حتمًا وسيلة ما ..

كل ما يبدو محكمًا ينطوى حتمًا على ثغرة ما ..

ثغرة تحتاج إلى تفكير ..

وتركيز ..

ودراسة ..

« لا تحاول .. »

نطقتها الحسناء القرش ، وهى تقترب بـ (نشوى) من الباب ، قبل أن تستطرد فى سخرية شرسة :

- لو أنك تفكِّر فى القيام بمغامرة مدروسة ، فأنصحك أن تعدل عن تفكيرك هذا .. لن تفلح لعبتك قط !

رفع (نور) فوهة مسدسه الليزرى نحوها ، وهو يقول فى صرامة ، لم تَخْلُ من توتره :

- ولو أنك تفكرين فى اختطاف ابنتى أمام عيوننا ، فأنت واهمة .. لن أسمح بهذا ، مهما كان الثمن .

قالت فى سخرية :

ـ اختطاف ابنتك ؟!

ثم أطلقت ضحكة ساخرة رفيعة ، جعلته يعقد حاجبيه فى شدة ، قبل أن تقول ، فى لهجة شديدة السخرية :

ـ ماذا وجدت فى حجرة الطوارئ ؟!

استعاد ذهن (نور) الموقف السابق كله فى لحظات ..

لقد سمع ما حدث فى حجرة الطوارئ ، واندفع إلى هناك ، ولكنه وجد القتلى ، ولم يجد القاتل ..

وعندما عاد مسرعًا ، إثر سماعه صرخة (سلوى) ، حدث ما حدث ..

وجاء موقفه الحالى ..

ولكن ماذا تعنى الحسناء الوحشية بسؤالها ؟!

ماذا ؟!

تألقت عينا الحسناء ، كأنها قد قرأت أفكاره ، وقالت فى سخرية :

ـ عثرت على الضحايا ، ولم تعثر على القاتل .. أليس كذلك ؟!

اتسعت عينا (سلوى) فى ارتياع ، وهى تقول :

ـ ضحايا ؟!.. ما الذى يعنيه هذا يا (نور) ؟!.. ما الذى يعنيه ؟!

أطلقت الحسناء ضحكة ساخرة أخرى ، كأنما يسعدها أن يحار فى تفسير الأمر ، وعادت (سلوى) تهتف :

ـ ما الذى يعنيه يا (نور) ؟!

انطلق فى تلك اللحظة صهيل جواد ، فى الممر الخارجى ، فاتسعت عينا (نور) ، وهتف فى انفعال :

ـ يا إلهى !.. (رمزى) ؟!

أطلقت الحسناء ضحكة مستفزة ، وهتفت :

ـ تريدان ابنتكما ؟!

ثم دفعت (نشوى) نحوهما ، مستطردة :

ـ ها هى ذى .

وبينما يلتقط (نور) و(سلوى) ابنتهما فى لهفة ، دارت الحسناء على عقبيها ، واندفعت خارج الحجرة ، فأطلق (نور) أشعة مسدسه خلفها ، ولكن خيوط الأشعة ارتطمت بالباب ، قبل أن يعدو هو خلفها ، هاتفًا :

ـ لا يمكننا أن نسمح لها بالفرار معه .

صاحت (سلوى) :

ـ مع من ؟!

أجابها ، وهو يندفع خارج الحجرة :

ـ (رمزى) .. لقد خدعتنا ؛ ليختطف زميلها (رمزى) .

واتسعت عيون (سلوى) و(نشوى) فى ارتياع ..

فقد كانت الصدمة قوية ..

للغاية .

* * *

9ـ نقطة التحوّل ..

تـألَّقت عينا العالم الكهل فى ظَفَر ، وهو يقيِّد (أكرم) فـى إحكام ، على تلك المنضدة الطبية الصغيرة فى معمله ، قائلاً :

ـ الآن حانت لحظة إنتاج جيل جديد ، من آلهة المستقبل .

انعقد حاجبا الشاب النسر فى توتر ، وهو يقول :

ـ وماذا يمكنك أن تضيف إلى جيل جديد ؟!

أطلق العالم ضحكة قصيرة ظافرة ، وهو يقول :

ـ الكثير .

سأله فى توتر أكثر :

ـ مثل ماذا ؟!

التفت إليه بعينيه المتألقتين ، قائلاً :

ـ سترى .

تراجع الشاب ، وقد تضاعف توتره كثيرًا ، ولاذ بالصمت التـام ، وهو يتابع العالم ، الذى انتهى من إحكام قيود (أكرم) ، فى حين

قال هذا الأخير ، وقد بدأ يستعيد وعيه ، وإن ظلَّت الرؤية مشوَّشة فى عينيه :

ـ ماذا يحدث ؟!.. من أنت ؟!

ربَّت العالم كتفه ، قائلاً :

ـ اهدأ يا سيِّد (أكرم) .. إنك على أعتاب عهد جديد .

هزَّ (أكرم) رأسه ، وهو يقول :

ـ ما هذا الصوت ؟!.. أين أنا ؟!

أجابه العالم ، وهو يدير جهاز الطرد المركزى الإليكترونى :

ـ أنت فى مصنع المستقبل .

تساءل (أكرم) ، وهو يحاول السيطرة على تفكيره :

ـ مصنع ماذا ؟!

أجابه :

ـ المستقبل يا سيِّد (أكرم) .. مستقبل البشرية كلها .. جيل جديد تمامًا من البشر .. الجيل الثالث ، الذى عرفته هذه الأرض .

بدأ (أكرم) يستعيد وعيه وإدراكه تدريجيًا ، وهو يقول :

ـ الجيل الثالث ؟!.. أى جيل ثالث ؟!

أطلق العالم الكهل ضحكة قصيرة ، وهو يوقف جهاز الطرد المركزى ، ويلتقط منه أنبوبًا شفافًا ، يحوى سائلاً عكرًا أحمر اللون ، وهو يقول :

ـ لقد بدأ هذا الكوكب بالديناصورات ، التى انقرضت ، إثر سقوط مذنَّب هائل ، غيَّر وجه الأرض لمئات أو ربما آلاف السنين ، وبعدها ظهر الجيل الأوَّل للبشر .

مطَّ (أكرم) شفتيه ، وحاول التخلُّص من القيود ، التى أدرك وجودها لأوَّل مرة ، وهو يقول فى توتر :

ـ حديث علمى ممل .. أنا أبغض هذه الأحاديث !

تابع العالم ، كأنه لم يسمعه ، وهو يسحب ذلك السائل الأحمر العكر ، فى محقن كبير ، يحوى سائلاً أزرق شفافًا :

ـ كان الجيل الأوَّل بدائيًا .. صيادًا .. يعتمد على عضلاته ، أكثر مما يعتمد على عقله ، ولقد سيطر على العالم أيامها ؛ لأن القوة كانت السبيل الوحيد للسيطرة ، خلال الجيل الأوَّل ، حتى جاء الجيل الثانى .. الجيل المفكر (*) .

(*) نظرية علمية ، يرى علماء الأجناس أنها تفسر ما يجدونه من بقايا وحفريات .. وإن اختلفت معهم النصوص الدينية لكل الأديان والمعتقدات تقريبًا .. وما زال الجدل يدور حول الأمرين بمنتهى العنف ، حتى يومنا هذا ، وربما يستمر لعشرات السنين القادمة أيضًا .

غمغم (أكرم) فى حدة ، ومحاولاته التخلُّص من قيوده تزداد عنفًا :

ـ أما زلت مصرًا على مواصلة هذا الحديث الممل ؟!

ضحك العالم ، وهو يقترب منه ، قائلاً :

ـ تمامًا كما وصفوك لى يا سيِّد (أكرم) .. قـوى .. عنيف .. وبدائى .. همجى من الطراز الأوَّل .. تناسب الجيل الأوَّل من البشر ، أكثر مما تناسب الجيل الثانى ، الذى يفترض أن تنتمى إليه .

أدرك (أكرم) عبث محاولة التخلُّص من قيوده ، فتوقف عن المحاولة فى سخط محنق ، وهو يقول فى عصبية :

ـ أنت على حـق .. ففـى هذه اللحظـة ، أفكِّر فى دق عنقك ، أكثر مما أفكر فى محاورتك !

أومأ العالم برأسه ، قائلاً :

ـ أمر طبيعى ، بالنسبة لهمجى مثلك .

صاح فيه (أكرم) فى غضب :

ـ ماذا تريد منى بالضبط ؟!

كانت الرؤية قد بدأت تتضح أمامه ، فرأى المعمل المحيط بـه ، بكل أجهزته وأدواته ومعدَّاته ، وذلك الشاب الواقف فى الركـن ،

يتطلَّع إليه فى عصبية ، والعالم الكهل ، الذى يقف إلى جواره ، ممسكًا محقنًا كبيرًا ، به سائل بنفسَجى مائل إلى الحمرة ، والذى كشف صدره ، وهو يقول مبتسمًا فى ثقة :

ـ بل قل ماذا أريد بك .

قال (أكرم) فى حدة :

ـ هل سننتقل إلى محاورات لفظية ؟!

أجابه العالم ، وهو يتحسَّس عظمة القص لديه بأصابعه :

ـ بل إلى تجربة عملية يا سيِّد (أكرم) ... إنك عينتى الأولى ، فى المرحلة الثانية ، من الجيل الثالث للبشر ، الذى سيسود العالم كله ، بعد سنوات قليلـة .. الجيل القـادر علـى الزعامـة والسـيطرة .. الجيل الذى يجمع بين رجاحة العقل ، والقوة .

قال (أكرم) فى غضب :

ـ تقصد أنصاف البشر ، الذى يسيرون فى الأرض ، ويهاجمون الضحايا بلا تمييز ، مثل الحيوانات المفترسة ؟!

بدا الغضب على العالم ، وهو يقول :

ـ بل أقصد الآلهة .. آلهة المستقبل .

قال (أكرم) فى غضب :

ـ أى آلهة أيها المأفون ؟!.. ليس هناك سوى إله واحد للكون كله .. الله ، سبحانه وتعالى ، وحده ، إلهنا جميعًا .. فكرة الآلهة هذه مجرَّد حماقة ، تورَّط فيها الأوَّلون ؛ لضعف عقولهم ، واعتمادهم على القوة وحدها ، كما أشرت فى محاضرتك السخيفة .

قال العالم فى حدة :

ـ عجبًا !.. هأنت ذا قد بدأت تتحدَّث كالفلاسفة ، حتى قبل أن تبدأ التجربة يا سيِّد (أكرم) .. إننى لم أكن أقصد الآلهة ، بالمعنى الحرفى السخيف ، الذى تصوَّرته .. بل كنت أقصد تلك الصورة ، التى وصفها بها الأقدمون .. الآلهة التى تحمل هيئة البشر ، مع سمات حيوان أو طير قوى .. انظر إلى هذا الشاب القوى فى الركن .

بدا الضيق والتوتر على الشاب ، والكهل يتابع ، دون أن يلتفت إليه :

ـ إنه يجمع بين جينات البشر ، والنسر ، وثعبان (أناكوندا) الضخم ، وبعض سمات العنكبوت الأفريقى .. إنه يطير بجناحين هائلين ، ويقتل أعداءه بسم زعاف ، ويتسلَّق الجدران ، مع صفات عديدة ، تجعله أقرب إلى الأساطير ، أو أبطال الروايات المصوَّرة القديمة .. وكل هذا بالعلم .

قال (أكرم) فى حدة :

ـ العلم الضار .

هزَّ العالم رأسه ، وهو يجهِّز محقنه ، قائلاً :

ـ خطأ يا سيِّد (أكرم) .. خطأ .. لا يوجد قط ما يسمى بعلم ضار .. كل العلم نافع ، وإن لم يدرك أصحاب العقول الهمجية الحمقاء هذا .. العلم نافع لمن يمكنه الانتفاع به ، وضار لمن يجهل كيف .. وستدرك هذا بنفسك ، بعد أن أحقُنك بهذا .

سأله (أكرم) فى عصبية ، وهو يحاول عبثًا تفادى إبرة المحقن ، التى تقترب من صدره :

ـ وما هذا ؟!

أجابه العالم :

ـ خلاصة جينية لا مثيل لها .. خلاصة ربع قرن من تجارب مدهشة ، بدأت فى عصر ، لم يتخيَّل أحد فيه أن الإنسان يمكنه أن يتحكَّم فى الجينات ، إلى هذا الحد المدهش ..

دهن عظمة قص (أكرم) بسائل ما ، وهو يتابع :

ـ فقديمًا ، وعندما بدأت لعبة الجينات ، كانت تواجههم مشكلة ضخمة ، فى دمجها وزرعها ؛ فلم يكن من الممكن زرع جينات فصيلة ما ، فى فصيلة أخرى .. كل التجارب التى أجريت ، فى هذا

الشأن ، باءت بفشل ذريع .. كلها بلا استثناء .. ثم كشفتُ أنا ذلك العقار .. إنه عقَّار مدهش ، يمكنه إقناع الجيناتُ المختلفة بالتعايش فيما بينها ، والاندماج دون رفض أو لفظ ، أو مشكلات دائمة .. ومنذ ما يزيد على ربع قرن ، أنتجْتُ الجيل الأوَّل من البشر ، الذين يحملون جينات حيوانات قوية .. ثم تطوَّر الأمر بعدها ، وأمكننى أن أكسبهم سمات أخرى .. وأخرى .. سمات منحت هذا الشاب وآخرين ، قوة لا مثيل لها .

قال (أكرم) فى حدة :

ـ وجعلتهم أنصاف حيوانات !

انعقد حاجبا الشاب النسر ، فى حنق واضح ، فى حين هتف العالم فى غضب شديد ، وهو يضرب صدر (أكرم) بقبضته :

ـ بل أنصاف آلهة !

تأوَّه (أكرم) فى ألم ، وصاح :

ـ المهم أنهم مجردّ أنصاف .. أنصاف أى شىء ، ولكن أنصاف .. هل تسمع جيدًا .. أنصاف .. أنصاف لن تكتمل أبدًا .

ندَّت من الشاب حركة عصبية ، تشفَّ عن توتره الشديد ، لاحظها (أكرم) جيدًا ، ولم ينتبه إليها العالم ، وهو يستعد بمحقنه ، قائلاً :

ـ وأنا أصحح هذا ، وأحقنك بخلاصة جينية ، من جينات كل المخلوقات الرئيسية فى الدنيا .. جينات حيوانات ، وطيور ، وزواحف .. وحتى حشرات .. وعندما أحقنك بها ، مع عقارى الخاص ، ستتبدَّل جيناتك إلى الأبد ، وستصبح أوَّل بشرى ، من الجيل الثالث ، كما أتخيَّله ، منذ أكثر من نصف قرن .

صاح (أكرم) فى غضب ، وهو يقاوم قيوده فى عنف :

ـ أيها الحقير !

ابتسم العالم ، قائلاً :

ـ من العار أن تسبَّ أباك الروحى .. سأؤدبك على هذا ، عندما تستعيد وعيك ، ككائن جديد .

صرخ (أكرم) :

ـ إننى أفضِّل الموت !

أجابه فى صرامة :

ـ سنرى .

ثم غرس إبرة محقنه .

* * *

أطلق الشاب الجواد صهيله ، وهو يحمل (رمزى) الفاقد الوعى على ظهره ، ويضرب أرض ممر المستشفى بحوافره ، فاندفعت الحسناء من حجرة (أكرم) نحوه ، ووثبت على متنه ، هاتفة فى شىء من المرح ، كما لو أنها فى لعبة مثيرة :

- انطلق !

حتى قبل أن يكتمل هتافها ، وبمجرَّد استقرارها على متنه ، انطلق الشاب الجواد بكل سرعته ، عبر ممر المستشفى ، و(نور) يندفع من حجرة (أكرم) ، مصوبًا مسدسه الليزرى إليهما ، هاتفًا :

- توقَّفا .

أطلقت الحسناء ضحكة ساخرة ، وحملت جسد (رمزى) الفاقد الوعى ، وصنعت منه درعًا ، يحمى ظهرها ، فهتف (نور) فى غضب :

- اللعنة !

وانطلق يعدو على قدميه خلفهما ..

كان الشاب ينطلق بسرعة جواد نشط ، على نحو يستحيل معه أن يبلغه بشرى ، مهما بلغت قوته وسرعته ، لذا فقد توقَّف (نور) ، وتلفَّت حوله ، محاولاً تذكُّر خريطة المستشفى ، قبل أن يعدو فى ممر فرعى ، ووقْع حوافر الشاب الجواد يصك أذنيه ، ويبدو أشبه بتحدٍّ ساخر فى مسامعه ..

وفى نفس اللحظة ، التى خرج فيها الجواد البشرى من المستشفى بحمليه ، كان (نور) قد بلغ نافذة مطلة على المدخل ، وهو يهتف :

- أوقفوه .. أوقفوهما !

اندفع بعض رجال الأمن للتدخُّل ، ولكن مرأى نصف جواد بشرى ، يحمل على ظهره رجلاً فاقد الوعى ، وفتاة بزعنفة وأسنان قرش ، أصابهم بصدمة مذعورة ، وجعلهم يتراجعون فى هلع ، ويفسحون له الطريق ..

وهنا ، وثب (نور) ..

وثب من نافذة الطابق الثانى ، نحو الجواد البشرى ..

ولكن الحسناء لمحته ، وهتفت بالشاب :

- هجوم علوى .

توقَّف الجواد البشرى لحظة ، ورفع قائمتيه الخلفيتين ، ليركل (نور) فى صدره فى قوة ، قبل أن يبلغ الأرض ، وهو يطلق صهيلاً قويًا متحديًا ..

وشعر (نور) بالضربة القوية ..

شعر بها تضرب صدره فى عنف ، وتدفعه إلى الخلف بمنتهى القوة ، ليرتطم جسده بباب المستشفى الزجاجى ، ويحطمه ، ليسقط فى المدخل ، ويرتطم برخامه البارد ، ويتدحرج فوقه لحظات ..

وبكل بأسه ويأسه ، وثب واقفًا على قدميه ، وسط المذعورين ، من العمال والأطباء ورواد المستشفى ، وانطلق يعدو مرة أخرى نحو سيارته ، ليثب داخلها ، ويدير محركها ، وينطلق بها خلفهم ..

خلف الجواد البشرى ..

والحسناء القرش ..

و(رمزى) ..

ولكن فى مدينة مزدحمة ، ذات تفرعات عديدة ، كان الجواد أكثر تفوقًا من السيارة ..

وخاصة مع حالة الرعب والذهول ، التى أثارها فى عروس البحر الأبيض المتوسط ، والتى جعلت الكل يتحاشاه ، ويفسح له الطريق ، مسببين ارتباكًا مروريًا رهيبًا ، ضاعف من العقبات ، التى تواجه (نور) ، الذى حاول جاهدًا تفادى السيارات ، التى اختلت مساراتها ، وراحت تدور حول نفسها ، وتتجاوز خطوط السير ، و ...

وحدث الاصطدام ..

اصطدمت سيارته بسيارتين ، تقاطعتا أمامه ، فى محاولتهما الفرار من ذلك الوحش نصف البشرى ، الذى يشق الطرقات ، فى مشهد أشبه بأفلام الخيال العلمى القديمة ..

ودون التوقُّف لحظة واحدة ، وثب (نور) من سيارته ، وواصل عدْوه اليائس ، ورأى الجواد البشرى يعدو أمامه بحِمْلَيه ..

ويبتعد ..

ويبتعد ..

ويبتعد ..

حتى اختفى تمامًا فى الأفق ..

وكان هذا يعنى أنهم قد خسروا اثنين من الرفاق فى ساعة واحدة .

(أكرم) و(رمزى) ..

والله ، سبحانه ، وحده ، يعلم ، ماذا سيكون مصيرهما الآن !

ماذا ؟!

* * *

« لحظة يا أبى .. »

هتف الشاب النسر بالعبارة ، فى عصبية شديد ، عندما انغرست إبرة المحقن فى صدر (أكرم) ، فزمجر العالم الكهل ، وهو يقول فى حدة :

ـ ليس الآن !

اندفع الشاب نحوه ، وجذب يده ، قائلاً فى حدة :

ـ بل الآن .

جذبتُه سحبت إبرة المحقن ، من صدر (أكرم) ، قبل أن يدفع العالم ذلك السائل البنفسجى ، المائل إلى الحرقة ، فى نخاع عظامه ، فالتفت العالم إلى الشاب فى غضب ، وصرخ فيه :

ـ ماذا فعلت أيها الأحمق ؟!

أجابه الشاب فى حدة ، وهو يمسك معصمه فى قوة :

ـ أحاول منع كارثة !

صاح به العالم فى غضب :

ـ أية كارثة ؟!.. إننى أصنع تاريخًا !

هتف به الشاب :

ـ تاريخ من .. مملكة الحيوانات ، أم عالم البشر ؟!

احتقن وجه العالم فى غضب ، وهو يدفعه صائحًا :

ـ كيف تجرؤ ؟!

تشبث الشاب بمعصمه ، فى قوة أكبر ، وهو يقول :

ـ لا بديل عن هذا .. إنك تحاول تدميرنا ، ولابد من أن نحمى أنفسنا .

« من ماذا ؟!.. »

لم يَلْقِ العالم السؤال ، إنما ألقاه الشاب الجواد ، الذى وصل مع الحسناء القرش ، و(رمزى) الفاقد الوعى ، فى هذه اللحظة ، فالتفت إليهما العالم فى حدة ، صائحًا :

ـ لا شأن لكما بهذا !

قالت الحسناء فى توتر :

ـ إنه يتحدَّث عن تدميرنا ، وضرورة حماية أنفسنا ، وهذا حتمًا شأننا .

وأضاف الشاب الجواد :

ـ ولابد من أن نعرف .

قالت هى فى حزم :

ـ ونفهم .

نقل العالم بصره بينهم فى غضب ، فى حين ضاقت عينا (أكرم) ، وهو يحاول فهم ما يحدث ، وأصابه هلع شديد ، عندما أدرك أنهم قد ظفروا بصديقه (رمزى) أيضًا ، ولكنه لم يحاول التدخل فيما يحدث ، وهو يعاود محاولة التخلص من قيوده ، والعالم يقول فى غضب :

ـ مهمتكم ليست أن تفهموا ، بل أن تعملوا .. أن تنفذوا ما آمركم به فحسب .. أنا وحدى أفكر ، وأقرِّر !

هتف الشاب النسر :

ـ ولكنك تريد أن تصنع من هذا الرجل جيلاً ، يفوقنا قوة وقدرة .

صاح العالم :

ـ هذا هو الهدف منذ البداية .

قالت الحسناء ، فى قلق عصبى :

ـ أن تجعله أقوى منا ؟!

صرخ العالم :

ـ أنتم مجرَّد مرحلة .. مرحلة من حلم قديم طويل ، استغرق الوصول إليه جهدًا رهيبًا ، وتجارب لا حصر لها .. تجارب نجحت ، وأخرى أخفقت .. تجارب كلفتنى عمرًا ، ونفقات لا حصر لها ، و ...

صمت لحظة ، ثم استطرد فى حدة :

ـ وضحايا بلا حدود !

قال الشاب الجواد فى غضب :

ـ نحن حصدنا الضحايا !

هتف به العالم :

ـ فى هذه المرحلة فحسب .

بُهت الشباب الثلاثة ، وهم يحدِّقون فيه ، قبل أن تقول الحسناء القرش :

ـ وهل كان هناك ضحايا آخرون ؟!

هتف فى انفعال :

ـ بالطبع !

ثم مال نحوهم ، مضيفًا :

ـ حتى قبل أن تولدوا ، كنت مضطرًا إلى التضحية بالعديدين ، من أجل صالح البشرية .

قال (أكرم) فى حدة :

ـ يا له من منطق سخيف مختل !.. تقضى على البشر ، فى سبيل البشرية ؟!.. ياللحقارة !

التفت إليه العالم ، صارخًا :

ـ اخرس !

ثم عاد يستدير إلى الشبان الثلاثة ، صارخًا :

ـ عندما يتكلَّل مشروعى بالنجاح ، لن يعود لأمثاله وجود ، فى العالم الجديد .. سيسود الجيل الثالث من البشر الدنيا .. الانتخاب الطبيعى سيحسم المعركة لصالحى .. سيَفنَى البشر الضعفاء ، ويبقى البشر الأقوياء ، الذين يحملون السمات الجديدة ، وسيتحقق القانون الأزلى ...

والتمعت عيناه ، وهو يضيف :

ـ البقاء للأقوى !

انعقد حاجبا الحسناء ، وتبادلت نظرة عصبية متوترة مع زميليها ، فى حين تابع العالم ، فى صرامة شرسة :

ـ أنتم الرعيل الأوّل من الجيل الثالث ، وسيسجّل لكم التاريخ هذا ، عندما يسود جنسكم الأرض .

غمغم الشاب الجواد فى مرارة :

ـ التاريخ .

التفت مرة أخرى إلى (أكرم) ، وهو يقول :

ـ أما نسله ، فسيسود .

وفى هذه المرة ، لم يكن هناك ما يمكن أن يمنعه من إتمام تجربته المخيفة ..

أبدًا .

* * *

10ـ خطة ..

« لقد اختفوا هنا .. »

نطق مسئول الأمن العام فى (الإسكندرية) العبارة ، وهو يشير إلى خريطة المدينة ، قبل أن يستطرد :

ـ تمت مشاهدتهم فى هذه النقطة ، ثم اختفوا تمامًا بعدها ، ولم يشاهدهم أحد قط .

غمغمت (سلوى) فى عصبية :

ـ لا يمكن أن تختفى مخلوقات كهذه ، وسط مدينة كبيرة ، دون أن يلاحظها أحد .

قالت (نشوى) فى توتر ، وأصابعها تضرب أزرار الكمبيوتر فى سرعة :

ـ إلا لو استقلوا سيارة تنتظرهم ، فى مكان ما .

قال (نور) فى اهتمام :

ـ تحليل منطقى .

قالت (نشوى) :

- إننى أتصل الآن ، بكل كاميرات المراقبة فى المدينة ، لسحب تسجيلاتها الرقمية ، خلال الساعات الأخيرة ، فربما سجَّلت إحداها شيئًا .

قال الدكتور (حجازى) فى اهتمام :

- أعتقد هذا ، ومن جهتى ، سأعمل على فحص أية آثار تركوها خلفهم ؛ لنعرف المزيد من المعلومات عنهم .

بدا (نور) متوترًا ، وهو يقول :

- المهم أن نعثر عليهم فى الوقت المناسب ، ونستعيد (أكرم) و(رمزى) سالمَيْن ، قبل أن يفعلوا بهما شيئًا !

سألته (نشوى) فى رعب :

- هل تعتقد أنهم سيقتلونهما ؟!

تردَّد لحظة ، قبل أن يقول فى حسم :

- كلا .

تنفَّست الصُّعَداء ، ولكنه أضاف فى عصبية :

- ولكن قد يفعلون ما هو أسوأ !

أطلَّ الذعر من عينى (سلوى) و(نشوى) ، فى حين تساءل الدكتور (حجازى) فى قلق :

- مثل ماذا ؟!

صمت لحظة ، ثم قال فى خفوت :

- يحوِّلونهما .

هتفت (نشوى) فى ارتياع :

- إلى ماذا ؟!

أجاب فى توتر شديد :

- إلى شىء مثلهم !

شهقت (نشوى) فى رعب ، وردَّدت (سلوى) فى ذعر :

- يا إلهى !.. مستحيل !

قالتها ، وعقلها يرسم صورًا عجيبة لـ(رمزى) و(أكرم) ..

صورًا بأجنحة طيور ..

أو زعانف دلافين ..

أو ذيول ثعابين ..

وفى ارتياع ، هزّت رأسها ؛ لتنفض الصور عن ذهنها ، وهى تهتف :

ـ لابد من أن نستعيدهما يا (نور) .. لابد !

قال (نور) ، فى حزم متوتر :

ـ سنبذل قصارى جهدنا .

قال الدكتور (حجازى) فى اهتمام :

ـ هذا يعيدنا إلى نقطة البحث الأولى يا (نور) .. أين وكرهم الرئيسى بالضبط ؟!

أجابته (نشوى) فى انفعال :

ـ أظننى وجدت وسيلة لمعرفته !

استدار الجميع إليها ، وسألها مسئول الأمن العام فى لهفة :

ـ كيف ؟!

أشارت إلى شاشة الكمبيوتر الخاص بها ، مجيبة :

ـ تابعوا هذا !

كانت الشاشة تنقل مشهد الجواد البشرى ، وهو ينحرف بحمله فى شارع جانبى ضيق ، ويختفى فيه لدقيقة ، ثم يخرج من

الشارع شاب عادى وتلك الحسناء ، وهما يحملان جسد (رمزى) الفاقد الوعى ، إلى سيارة كبيرة ، وانطلقا بها مبتعدين ، فقال الدكتور (حجازى) فى دهشة مبهوتة :

ـ رباه !.. إنهم يملكون القدرة على تشكيل أجسادهم ، فى الهيئة التى توافق تركيبهم الجينى المعقّد .. هذا يعنى أنه من الممكن أن يكونوا بيننا طوال الوقت ، ولا نشعر بوجودهم لحظة واحدة !

غمغمت (سلوى) فى توتر شديد :

ـ مجرّد شابين عاديين ، يسيران وسط الناس !

فرفع (نور) سبّابته وإبهامه ، وهو يضيف :

ـ ثم فجأة ، يتحولون إلى كائنات وحشية .

تمتمت (نشوى) :

ـ وقاتلة .

قال مسئول الأمن العام ، فى توتر بالغ :

ـ هناك حتمًا وسيلة لتمييزهم .

عادت (نشوى) تشير إلى الشاشة ، قائلة :

ـ أو العثور عليهم .

فهم (نور) ما ترمى إليه ، وقال فى شىء من الحماس :

ـ عبر أقمار المراقبة المرورية .. لقد حدَّدنا موقع سيارتهم وطرازها ، ويمكننا تعقُّبها ، ومتابعة مسارها ، حتى مستقرها ، الذى سيكون وكرهم حتمًا .

غمغم مسئول الأمن العام فى شك :

ـ هل تعتقد هذا ؟!

التفت إليه (نور) ، قائلاً :

ـ وهل تعتقد العكس ؟

أشار الرجل بيده ، قائلاً :

ـ هذا يتوقَّف على عقلياتهم ؛ فحتى لصوص السيارات العاديون ، يعرفون بأمر أقمار المراقبة المرورية ، وكيفية خداعها ، باختيار الأنفاق المرورية المتشابكة ، التى تعجز الأقمار المرورية عن متابعتها ، فما بالكم بمثلهم ؟!

بدا قوله كالصدمة ، حتى إن الكل تطلَّعوا بعضهم إلى بعض فى توتر ، قبل أن تقول (نشوى) ، فى توتر بلا حدود :

ـ سنجد وسيلة أخرى ... لابد من أن نجد وسيلة أخرى !

ربَّت (نور) كتفها مهدِّئًا ، وهو يقول :

ـ اطمئنى .. سأبحث عنها ، أما الآن ، فسنتابع البحث النمطى .

سأله مسئول الأمن العام مستنكرًا :

ـ هل ستضيع الوقت فى مراجعة أشرطة الأقمار المرورية ؟!

أجابه (نور) فى صرامة :

ـ نعم .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى حزم :

ـ فلدىَّ خطة .

تطلَّع إليه الجميع فى صمت قلق ، وقد تفجَّر فى رءوسهم سؤال واحد مخيف ..

ترى هل لديه بالفعل خطة مناسبة ؛ لإنقاذ رفيقيهم ، قبل أن يحوِّلوهما إلى وحشَيْن ؟!

هل ؟!

* * *

شعر (أكرم) بتوتر لا مثيل له ، عندما اقتربت إبرة المحقن الكبيرة من قفصه الصدرى ، وحاول مرة أخيرة التملُّص من قيوده القوية ، ولكنه فشل هذه المرة ، كالمرات السابقة ، فهتف فى محاولة يائسة أخيرة :

ـ سأصبح أقوى منهم .

ابتسم العالم ، مجيبًا ، وهو يستعد لحقنه :

ـ بالتأكيد .

هتف به :

ـ وما أدراك أننى لن أسعى للسيطرة عليهم ؟!

انعقد حاجبا العالم الكهل فى غضب ، وقد فهم ما يرمى إليه (أكرم) ، والتفت إلى الشبان الثلاثة ، قائلاً فى حدة :

ـ إنه يحاول التأثير عليكم !

قالت الحسناء فى توتر :

ـ ولكن حديثه منطقىّ .

هتف ، وجسده يرتجف غضبًا :

ـ بل تحايلىّ .. إنه يحاول إثارة قلقكم ؛ حتى يدفعكم إلى التمرُّد !

قال الشاب الجواد :

ـ هذا لا ينفى منطقيةَ ما افترضه .

وأكمل النسر فى عصبية :

ـ فما الذى يمنعه من السيطرة علينا ، ما دام سيصبح أكثر قوة ؟!

صرخ العالم :

ـ لقد خدعكم !

ثم التفت إلى (أكرم) ، مستطردًا فى ثورة :

ـ لقد خدعتهم أيها الحقير .. ولكنك ستدفع الثمن !

قال (أكرم) فى عصبية :

ـ ربما تدفعه أنت !

صرخ العالم :

ـ هل تتصوَّر هذا ؟!.. اعلم إذن أنهم ، ومهما بلغت قوتهم ، لا يمكنهم مهاجمتى ؛ لأن حياتهم مرتبطة بحياتى ، ففور توقُّف قلبى عن النبض ، ستنتهى حياة ثلاثتهم دفعة واحدة .

قالت الحسناء فى صرامة :

ـ نظريًّا .

التفت إليها العالم بحركة حادة ، فأكملت بنفس اللهجة :

ـ لقد درسنا الأمر جيدًا ، ووجدنا حلاً لهذا .

هتف بها فى غضب :

ـ حلاً لماذا ؟!

أجابته فى حزم :

ـ لبقائنا .

لم تكد تنطقها ، حتى انقض الشابان عليه ، وكبلا حركته فى قوة ، فصرخ :

ـ ماذا ستفعلون أيها الأغبياء ؟!.. لو مت ...

قاطعته الفتاة ، وهى تلتقط من جيبها محقنًا صغيرًا :

ـ هذا لو مت .

اتسعت عينا العالم فى رعب شديد ، فى حين غرست هى المحقن فى عنقه ، مضيفة :

ـ ولكن لدينا خطة .

وصرخ العالم ..

وأغلق (أكرم) عينيه ..

ثم ساد صمت تام ..

مخيف .

* * *

« لست أفهم هذا !.. »

نطق قائد فرق أمن (الإسكندرية) العبارة فى توتر ، وهو يواجه (نور) ، الذى أشار إلى خريطة المدينة ، وهو يقول ، باذلاً أقصى جهده ؛ للحفاظ على هدوء أعصابه :

ـ دعنا نشرح الأمر مرة أخرى .. أنصاف الوحوش الذين نطاردهم ، لديهم حتمًا خطة عمل كاميرات المراقبة ، وأقمار التتبع الصناعية ، بدليل أننا لم ننجح فى تعقب سيارتهم عبر الوسيلتين ، مع كل ما بذلناه من جهد ؛ لذا ينبغى أن نلجأ إلى أسلوب غير تقليدى ؛ لمعرفة أين ذهبوا بالضبط .

قال الرجل فى عصبية :

ـ بأن نتتبَّع كل سيارة فى المدينة .. أليس كذلك ؟!

قال (نور) بشىء من الصرامة :

ـ لا .. ليس كذلك .

ثم التفت إلى ابنته (نشوى) ، التى أكملت :

ـ خطة أبى تعتمد على أن أية سيارة تقطع المدينة ، فى هذا التوقيت ، لديها حتمًا خط سير محدَّد ، وهذا يعنى أنها لن تتوقَّف فى منتصف طريق ما ، دون سبب واضح ، كما أنه ليس من

المنطق أن تتوقَّف سيارة ما ، فى مكان غير تقليدى ، لفترة طويلة ، ثم تنطلق فجأة ، دون سبب واضح ، لذا فسنراجع كل شرائط المراقبة ، خلال الساعة ونصف الساعة الماضية ، لنرصد السيارات التى توقفت فى منتصف المسافة ، أو اختفت بعيدًا عن نظم المراقبة ، على نحو منتظم ، وتلك التى بدأت تحركها من نقاط ميتة ، أو نقاط مختفية عن الأعين .

قال القائد فى عصبية :

ـ أتعلمين يا سيِّدتى كما يستغرق هذا ، من وقت وجهد ؟!

قالت (سلوى) فى حزم :

ـ ليس كثيرًا .

قال فى حدة :

ـ من أية ناحية ؟!

أجابته (نشوى) :

ـ أمى تقصد أننا لن نراجع هذا بأسلوب بصرى نمطى .. لقد ابتكرت برنامج كمبيوتر خاص ، للقيام بالمهمة فى دقائق قليلة ، وكل ما نحتاج إليه هو شرائط المراقبة ، وتسجيلات الأقمار الصناعية فحسب .

نقل الرجل بصره بينهم فى عصبية ، وقال :

ـ أمك .. أبوك .. ما هذا بالضبط ؟!.. فريق أمنى عائلى ؟!

أجابه (نور) بمنتهى الصرامة :

ـ هذا ليس من شأنك .. إننا نطلب الشرائط والتسجيلات بصفة رسمية ، هل ستمنحنا إياها أم تتحمل مسئولية حجبها عن فريق مخابرات علمية ، فى مهمة رسمية ؟!

انعقد حاجبا الرجل ، وهو يقول فى غضب :

ـ أهذا تهديد ؟!

صاح (نور) فى وجهه غاضبًا :

ـ نعم .. هو كذلك!

احتقن وجه الرجل ، وبدا وكأنه سينفجر فى وجهه ، حتى إن (سلوى) و(نشوى) شعرتا بقلق شديد ، إلا أن الرجل لم يلبث أن أشاح بوجهه ، وقال فى عصبية شديدة :

ـ أريد توقيعًا معتمدًا .

أجابه (نور) فى صرامة :

ـ فورًا .

مطَّ الرجل شفتيه فى حنق ، وجذب إليه جهازَ التوقيع الإليكترونى فى عصبية ، فأضاف (نور) فى توتر :

ـ المهم أن تنهى هذه السخافات الروتينية ، فى أسرع وقت ممكن ؛ فكل دقيقة لها ثمنها ، ولو تأخرنا ، ربما نفقد رفيقينا إلى الأبد .

وسرت ارتجافة قوية ، فى جسدى (سلوى) و(نشوى) .

فـ(نور) على حق ..

لو تأخَّروا ، فربما يفقدون (أكرم) و(رمزى) بالفعل ..

إلى الأبد ..

* * *

لم يصدق (أكرم) عينيه أبدًا ، وهو يشاهد ما يحدث أمامه ..

لقد كان يشاهد ثورة ..

ثورةً حقيقية ..

ثورة يقوم بها ضحايا الرعيل الأوَّل للجيل الثالث ، من حلم عالم مجنون ، على العالم نفسه ..

لقد صنعهم بتجاربه الرهيبة ..

وأفقدهم آدميتهم ..

وانسانيتهم ..

وتاريخهم ..

ومستقبلهم ..

ولم يكتف بهذا ، وإنما سعى للسيطرة عليهم وتحجيمهم أيضًا ، كما لو أنهم مجرَّد قطع جامدة على لوحة شطرنج ، يدير لعبتها كيفما يشاء ..

وكما لو أنه صاحب الحق فى معاقبتهم وتدميرهم وقتما يشاء ..

يا للجنون! ..

لقد تصوَّر نفسه إلهًا ..

شخص فوق مصاف البشر ..

تصوَّر نفسه منافسًا للخالق عزَّ وجلَّ ، فى صنع مخلوقات خاصة به ..

ولكن هيهات !..

هيهات أن يقترب أعظم عباقرة الأرض ، من ذرة واحدة من ذات الله عزَّ وجلَّ ..

المسافة بين عقل أعظم علماء وعباقرة الكون ، وعقل أصغر نملة وليدة ، هى مسافة ضئيلة للغاية ، لو قورنت بالمسافة بين بشر وإلهه ..

بل هى ذرة من مليارات مليارات مليارات الذرات ، من لحظة واحدة ، من إرادة الخالق عزَّ وجلَّ ..

وربما أصغر من هذا ..

مليار مليار مرة ..

ولكنه الجنون ..

جنون العظمة ..

والغطرسة ..

والثقة المختلَّة ..

لقد صنع ذلك الجيل من المتحورين ، ليبدل بوساطته البشر كلهم ، ويسيطر على الأرض بجيل جديد ..

ولكنه انهزم ..

وبيد من صنعهم ..

فأمام عينيه ، شاهد (أكرم) ثلاثتهم يفقدون العالم الكهل وعيه ، ثم يرقدونــه أرضًا ، فوق محفة صغيرة ، راحوا يوصلون بها أجهزة صغيرة ، ذات سمة لم يفهمها ، فقال فى شىء من العصبية :

ـ ماذا تفعلون به ؟!

أجابته الحسناء القرش ، وهى تبتسم فى ظفر وتشف :

ـ نبقيه حيًا .

قال ، وقد عاود محاولة التخلُّص من قيوده :

ـ تبقونه ماذا ؟!

أجابه الشاب الجواد فى عصبية :

ـ حيًا .. لقد زرع فى أجسادنا ، كما سمعته يقول ، جهازًا خاصًا ، سينفجر فور توقف قلبه عن النبض .. لقد فعل هذا ليسيطر علينا ، ويضمن طاعتنا المستمرة له .

أضاف الشاب النسر فى مقت :

ـ ولكنه لم يحسب حساب توقف قلبه بصورة طبيعية .. ماذا لو أنه أصيب بسكتة قلبية ، فى هذا العمر ؟!.. أيعنى هذا نهايتنا جميعًا ؟!

مطّت الحسناء شفتيها ، وراحت توصل مجموعة من الأسلاك والأنابيب الدقيقة بجسد العالم الكهل الفاقد الوعى ، وهىَ تقول :

ـ فور علمنا بهذا رحنا نتدارس الموقف ، وجدنا أنه تصرّف معنا طوال الوقت بأنانية مفرطة .. لقد حرمنا من بشريتنا العادية ؛ ليجعل منا مجرّد نماذج فريدة ، لما يطمح فى الوصول إليه ، ولكنه لم يبال بنا أو بمصيرنا لحظة واحدة .. كنا مجرّد آلات ، تنفذ إرادته ومشيئته ، ويقضى عليها عندما تنتهى مهمتها .

اعتدل الشاب الجواد ، وقال فى حزم :

ـ لذا ، فقد قرّرنا أن نتعامل معه من المنطق نفسه ، ونحافظ على حياتنا وبقائنا ، حتى لو كان هو الثمن .

وأشار الشاب النسر بيده ، قائلاً :

ـ ووضعنا خطتنا ، واستغللنا المعرفة العلمية ، التى اكتسبناها من قضاء الوقت إلى جواره ، وصنعنا وسائل الإعاشة الدائمة ، التى تراها هنا أماك .

تساءل (أكرم) ، وقد أحنقه بشدة عجزه عن التخلُّص من قيوده :

ـ ستبقونه إذن فاقد الوعى .

بدت الحسناء شامتة متشفية ، وهى تقول فى سخرية وحشية :

ـ بل سيستعيد وعيه ، وسيدرك ما فعلناه .

غمغم (أكرم) مندهشًا :

ـ وهذا يسعدك .

هزّت كتفيها ، وابتسمت دون أن تجيب ، فأضاف فى عصبية :

ـ وماذا عنى ؟!

تجاهله الشابان تمامًا ، وهما يتعاونان على نقل المحفة ، إلى منضدةَ فى نهاية المعمل ، فى حين سألته الحسناء :

ـ وماذا عنك ؟!

قال فى حدة :

ـ ماذا ستفعلون بى ؟!

أجابته فى هدوء عجيب :

ـ سنقتلك بالطبع ..

وكانت صدمة عنيفة ..

للغاية .

* * *

11ـ المضـــــاد ..

هزَّ الدكتور (محمد حجازى) رأسه فى اهتمام ، وهو يراجع ما قدمه له فريق العلماء ، الذين طلب استدعاءهم من (القاهرة) ، وقال :

ـ إذن فقد درستهم ذلك التداخل الجينى جيدًا .

أومأ أحدهم برأسه ، وقال :

ـ لأيام قليلة مضت ، كنا نتصوَّر أن هذا مستحيل علميًا تمامًا ، ولكن يبدو أن العلم لن يتوقَّف عن إدهاشنا ، حتى نهاية العالم .

غمغم الدكتور (حجازى) :

ـ هذا أمر طبيعى ، فمهما تصوَّرنا لا نملك من العلم إلا قليلاً .

قال آخر :

ـ هذا صحيح .. العينة التى اختبرناها تجمع بين جينات عدة فصائل مختلفة ، مندمجة ومتناغمة ، على نحو كان العلم يعتبره مستحيلاً ، وهذا منحنا سمات عديدة ومختلفة ، حتى عن سمات الأنواع والفصائل ، التى أخذت منها .

أسرع ثالث يضيف :

أهمها القدرة على التشكل فى هيئات مختلفة .. إنها مرونة خلوية ليس لها مثيل .

قال الدكتور (حجازى) فى اهتمام :

ـ ربما اقتنصها من جينات بعض الكائنات ، القادرة على تغيير هيئتها ، لتتناسب مع الطبيعة المحيطة بها .

قال الأوَّل :

ـ ربما .. ولكننا درسنا هذا التداخل الخلوى إلى حد ما ، وأمكننا أن نضع اللمسات الأخيرة ، لما طلبته منا .

تساءل فى لهفة :

ـ المضاد ؟!

أجابه الثانى :

ـ لقد وضعنا تركيبته ، ولكنها لم تدخل مرحلة التصنيع بعد .

سأله الدكتور (حجازى) :

ـ وكم تحتاجون لتصنيعها بالفعل ؟!

قال الثالث فى اهتمام شديد :

ـ أسبوع ، فى الظروف العادية ، وثلاثة أيام ، لو أن الأمر عاجل .

انعقد حاجبا الدكتور (حجازى) فى توتر ، وغمغم فى عصبية :

ـ هذا لا يكفى .

تبادل الثلاثة نظرة متوترة ، ثم سأله أحدهم فى حذر :

ـ متى تريد المضاد إذن ؟!

أجاب بمنتهى الحزم :

ـ الآن .

واتسعت عيون الثلاثة فى شدة ..

وفى صدمة ..

* * *

« تبدو مصدومًا .. »

ألقت الحسناء عبارتها ، وهى تكاد تنفجر ضحكًا ، فقال (أكرم) فى غضب :

ـ ولماذا يصدمنى هذا ؟!.. أنا مقيد فى إحكام ، وسط ثلاثة من القتلة أنصاف الوحوش ، فأى مصير أنتظر سوى القتل ؟!

تحسّست صدره القوى ، وهى تقول :

ـ لا تتصوَّر أن هذا لسبب شخصى .

قال فى حنق :

ـ ولماذا أتصوَّر هذا ، من حقيرة مثلك ؟!

أطلقت ضحكة عالية ، كما لو أنه أطلق دعابة لطيفة ، وواصلت تحسُّس صدره ، وهى تقول :

ـ إننا نحمى وجودنا فحسب .

قال فى حدة :

ـ بالقتل ؟!

هزَّت كتفيها ، قائلة :

ـ وهل من سبيل سواه ؟!

قال فى حنق :

ـ هل حاولتم ؟!

صمتت لحظات ، ارتسم خلالها الحنق على ملامحها ، قبل أن تخدش صدره بأظافرها الطويلة ، قائلة فى وحشية :

ـ اصمت .

شعر بالدماء الحارة تسيل على صدره ، فصاح فى حنق :

ـ وماذا لو لم أفعل ؟!

فوجئ بملامحها تتحوّل على نحو عجيب ، وبأنيابها الحادة تبرز ، وتشوه ملامحها كلها ، وهى تزمجر فى وحشية ، جعلت عيناه تتسعان ، وهو يردّد بأنفاس مبهورة :

ـ يا إلهى !.. يا إلهى!

قال الشاب الجواد فى صرامة ، بعد أن انتهى مع الشاب النسر ، من تثبيت المحفة على المنضدة :

ـ هذا يكفى .

التفتت إليه فى حركة حادة وحشية ، فأطلق الشاب النسر فحيحًا ثعبانيًا قويًا فى وجهها ، وصاح بصوت عجيب ، ولسانه الطويل المشقوق يتراقص فى الهواء :

ـ هل سنبدأ الاقتتال ؟!

لانت ملامحها فى سرعة ، وقالت :

ـ لن نفعل أبدًا .

ثم التفتت إلى (أكرم) ، صائحة فى غضب :

ـ انظر ماذا فعلت ؟!

هتف مستنكرًا :

ـ أنا ؟!

كان الكل يتطلّع إليه ، عندما تعلّقت عيناه بنقطة ما خلفهم ، وهتف فجأة :

ـ افعلها يا رجل .

التفت الثلاثة إلى حيث ينظر ، وأدركوا الخطأ الذى ارتكبوه ، فى غمرة اهتمامهم بتصفية حساباتهم ..

(رمزى) ..

لقد نسوا أمره تمامًا ..

وعندما التفتوا إليه ، كان قد استعاد وعيه ، ويقوم بآخر شىء يمكن تصوّره أو توقعه ..

لقد كان يلقى أحد المشارط الجراحية الكبيرة ، التى يحتفظ بها العالم الكهل فى معمله ..

ونحو (أكرم) ..

مباشرة ..

* * *

« لقد أبدلوا خمس سيارات خلال رحلتهم .. »

نطقت (نشوى) العبارة فى اهتمام بالغ ، وهى تتابع برنامجها الكمبيوترى على الشاشة ، قبل أن تضيف :

ـ من الواضح أنهم شديدو الذكاء والحذر .

غمغم (نور) فى حزم :

ـ ما من نظام مكتمل .

أجابته فى حماس :

ـ بالطبع .. لقد أمكننى تعقُّبهم ، على الرغم من كل ما فعلوه .

ثم فقد صوتها حماسه فجأة ، وهى تضيف :

ـ ولكننى فقدت أثرهم هنا .

مال (نور) ؛ ليتطلَّع إلى الخريطة ، المرتسمة على شاشة كمبيوتر (نشوى) ، ورأى سبَّابتها تشير إلى نقطة ما ، فى منطقة (الماكس) القديمة ، فى طرف (الإسكندرية) ، وتساءل فى توتر :

ـ وكيف فقدت أثرهم ؟!

أجابته فى ضيق :

ـ المنطقة بها عدد كبير من الأنفاق المتشابكة ، تم إنشاؤها فى أعقاب حرب التحرير(*) ، ولقد دخلت آخر سياراتهم شبكة الأنفاق ، التى تعطَّلت آلات المراقبة داخلها لسبب ما ، ثم لم تخرج أية سيارة جديدة من هناك .

غمغم (نور) ، فى تفكير عميق :

ـ لا يمكنك إيقاف سيارة ، وسط شبكة أنفاق .

قالت (سلوى) ، التى تتابع حديثهما :

ـ ولا يمكنك أيضًا تحديد اتجاه مسوخ مثلهم ، داخل شبكة أنفاق .

قال (نور) ، وتفكيره يزداد عمقًا :

ـ بالضبط .

لاذ بالصمت بضع لحظات ، توحى باستغراقه فى تفكير عميق ، ثم التفت إلى (نشوى) ، قائلاً :

ـ أين تقع مخارج الأنفاق بالضبط ؟!

أشارت بسبابتها عدة مرات ، قائلة :

ـ هنا .. وهنا .. وهنا ... وهنا أيضًا .

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم 76 ، من سلسلة (ملف المستقبل).

قالت (سلوى) فى انفعال :

ـ أربعة مخارج فحسب ، يمكن تعقُبها ، و ...

قاطعها (نور) فى حزم :

ـ كلا .

رفعت عينيها إليه فى دهشة ، فاستطرد فى شرود عجيب :

ـ هناك شبكة أخرى ، علينا تعقُبها .. شبكة ساعدتهم كثيرًا .. كثيرًا جدًا .

وكان من الواضح أنه قد توصَّل إلى طرف خيط ..

طرف خيط دقيق ..

إلى أقصى حد .

* * *

للوهلة الأولى ، بدا وكأن (رمزى) قد قرَّر إعفاء (أكرم) من عذابه ، ومصيره المحتمل ، وقتله فورًا ..

وبسرعة ..

فعندما ألقى ذلك المشرط الحاد ، بدا مساره وكأنه يتجه نحو صدر (أكرم) مباشرة ..

أو هكذا رآه المسوخ الثلاثة ، داخل المعمل القديم ..

ولكن المشرط انغرس بالفعل ..

ليس فى صدر (أكرم) ..

أو فى أى جزء من جسده ..

لقد انغرس فى تلك السيور الجلدية ، التى تقيده إلى منضدة البحث فى إحكام ..

وفى نفس اللحظة ، كانت الحسناء القرش تكشر عن أنيابها ، لتغرسها فى عنق (رمزى) ، والشاب النسر يصدر فحيحًا غاضبًا ، وينقض عليه بلسانه الثعبانى المشقوق ..

ورأى (أكرم) هذا المشهد ، فصرخ :

ـ أحمد .

كان يعلم أن ما فعله (رمزى) ، قد أضعف قوة السيور الجلدية ، التى تحكم رباط يده اليسرى ، لذا فقد استنفر كل قواه ، وأطلق صرخة غضب قوية ، وعضلات ذراعيه تنتفخ ..

وتنتفخ ..

وتنتفخ ..

أضف إلى هذا كمية الأدرينالين الكبيرة ، التى أفرزتها غدته فوق الكلوية ، وأطلقتها فى تيار دمه ، لتضاعف من قوته ، كما يحدث لكل مخلوقات الدنيا ، فى حالة الخطر ..

ومن موقعه ، رأى الشاب الجواد هذا ، فأطلق صهيلاً غاضبًا وحشيًا ، وهو يندفع نحو (أكرم) ..

وصرخ (أكرم) مرة ثانية ..

وثالثة ..

ورابعة ..

كان يشاهد الحسناء القرش ، والشاب النسر ، وهما يحاصران (رمزى) ، الذى لن يصمد أمام هجومهما حتمًا ..

وكان يشرع بحتمية أن يهب لنجدته ..

بأية وسيلة ..

وأى ثمن ..

ومع انقضاضة الشاب الجواد عليه ، أطلق (أكرم) صرخة أخيرة ، أطلقت كل قوته الكامنة ..

وتمزّقت قيود يده اليمنى ..

تمزّقت ، عندما كان الشاب الجواد على وشك غرس أسنانه فى عنقه ..

وبلكمة أودعها كل قوته وغضبه ، هوى على فك الشاب الجواد ..

وكانت لكمة هائلة بحق ..

لكمة ربما لم يحظ (أكرم) نفسه بمثلها قط ..

لكمة أطاحت بالشاب الجواد فى عنف ، عبر المعمل كله ، فارتطم بالحسناء القرش ، ودفعها معه نحو مائدة ، اكتظت بالأجهزة المعملية ، فسقطت وهما معها ، وتناثرت أجزاؤها أرضًا ، وامتزجت مكوناتها الكيماوية ، وتصاعدت بعض الأبخرة فى المكان ..

وزمجرت الحسناء القرش فى غضب ، وهى تنهض بعد الهجوم ، ورأت (أكرم) يدير يده اليمنى فى سرعة ، ليحل وثاق يده اليسرى ، فأبرزت مخالبها الحادة الطويلة ، وانقضت عليه ، مطلقة صرخة أشبه بصرخة دولفين ثائر ..

ولكن (أكرم) لم يكن فى حالته العادية ، فى تلك اللحظات ..

كان جسده كله يموج بالأدرينالين ..

والغضب ..

والثورة ..

فعلى الرغم من سرعة وعنف انقضاضة الحسناء القرش ، استقبلها (أكرم) ، الذى ما زال مقيد القدمين ، بصرخة قوية غاضبة ، ثم أمسك عنقها بيسراه ، ودفع يمناه فى بطنها ، ورفعها بقوة مدهشة فوقه ، ليلقى بها بمنتهى العنف ، نحو يسار المعمل ..

ومرة أخرى ، ارتطمت الحسناء بمائدة أجهزة ، وسقطت معها أرضًا ، فى حين استدار الشاب النسر فى غضب نحو (أكرم) ، وتراجع بحركة حادة ، وهو ينقل بصره بينه وبين (رمزى) ، خشية أن ينشغل بأحدهما ، فيهاجمه الآخر ..

كان (أكرم) قد انحنى لحظتها ، ليحل وثاق قدمه اليسرى ، فى حين راح (رمزى) يبحث عن أى شىء ، يمكنه أن يقاتل به ..

أو يدافع عن نفسه على الأقل ..

وبينما تنهض الحسناء القرش غاضبة ثائرة ، استدار الشاب النسر نحو (أكرم) ، وأطلق فحيحًا ثائرًا ، وتساقطت قطرات السم من طرف أنيابه الثعبانية الحادة ..

وبكل غضبها ، صرخت الحسناء القرش ، بصيحتها السمكية المخيفة :

- لو تصورّت أنك ستربح هذه المعركة أيها البشرى ، فأنت واهم .

صاح بها (أكرم) فى صرامة :

- أنت قلتها .. أيها البشرى .

كانت تنقض عليه بكل غضبها ، عندما استقبلها بركلة شديدة القوة ، فى أسنانها مباشرة ، بقدمه اليسرى ، وهو يكمل :

- هذا يعنى أنك تعلمين .

سقطت ، مطلقة صرخةً وحشية غاضبة ، وارتطمت هذه المرة بجهاز كبير ، سقط وتحطَّم فى عنف ، فاستدار (أكرم) ليحل وثائق ساقه اليمنى ..

وكانت فى انتظاره مفاجأة ..

الأنياب الثعبانية للشاب النسر ، كانت قيد سنتيمترات .. من عنقه مباشرة ..

* * *

« ها هى ذى .. »

نطقتها (نشوى) ، وهى تشير إلى خريطة هندسية ، ظهرت على شاشة الكمبيوتر الخاص بها ، فسألها (نور) فى انفعال :

- أهى أحدث خريطة لممرات التهوية ومنافذ الهروب ؟!

أجابته فى اهتمام :

ـ بالطبع .. إنها تشير إلى كل مساراتها ، حتى المتداخلة منها .

سألته (سلوى) :

ـ هل تعتقد أنهم قد فروا عبرها ؟!

قال فى حسم :

ـ بل أنا واثق من أنهم قد فعلوا هذا .

ثم أشار إلى الخريطة ، مستطردًا :

ـ هذه الشبكات الداخلية تقود إلى عدة نقاط ، منها ما هو وسط مناطق سكنية مزدحمة ، وما هو بعيد تمامًا عن العمران ، وسنستبعد بالطبع تلك التى تنتهى بمناطق سكنية ، فمع تجارب كهذه ، لا أحد سيخاطر بالتواجد وسط آلاف الفضوليين ، لذا فوكر تلك الوحوش يكمن حتمًا فى منطقة مقفرة ، أو شديدة الهدوء ، وبعيدة عن الزحام .

أشارت (نشوى) إلى بقعتين ، قائلة :

ـ هذا يترك لنا مكانين فحسب .. هنا .. وهنا .

قالت (سلوى) فى اهتمام :

ـ هذه منطقة منتجعات فاخرة ، تحوى عددًا من الفيلات ، تفصل بينها حدائق كبيرة .. أما تلك ، فبها المرصد القديم فقط .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو ينقل بصره بين المنطقتين ، على خريطة (الإسكندرية) ، و(نشوى) تقول :

ـ أظننى أرشح المرصد القديم ، فمنطقة الفيلات ، مهما بلغ هدوءها ، ستجذب من يثير الأمر فضوله .

قال (نور) فى اهتمام :

ـ الدخول أو الخروج من مرصد مهجور ، يثير فضولاً وتساؤلات أكثر .

تساءلت (سلوى) :

ـ هل يعنى هذا أنك ترشح منطقة الفيلات ؟!

ولم يجب (نور) ..

كان عقله يكاد يشتعل ؛ للتوصل إلى الوكر ..

إنه لن يملك سوى فرصة واحدة ..

إما أن يهاجم الوكر ، فى اللحظة المناسبة ..

أو يخسر اللعبة كلها ..

والأخطر أن يفقد رفيقيه ..

(أكرم) .. و(رمزى) ..

وهو لن يحتمل فقدان أحدهما ..

لن يحتمل أبدًا ..

وهذا يعنى أنه ليست أمامه سوى فرصة واحدة ..

وبسرعة ..

« أين ذهبت السيارة ؟!.. »

ألقى التساؤل فى اهتمام ، فالتفتت إليه (نشوى) و(سلوى) ، وغمغمت الأولى :

ـ أخبرتك أننى فقدت أثرها ، داخل شبكة الأنفاق .

قال فى اهتمام :

ـ ولقد اتفقنا على أنه من المستحيل ترك سيارة فارغة ، داخل شبكة الأنفاق ، وهذا يعنى أنها قد خرجت منها ، على نحو أو آخر .

قالت (سلوى) فى دهشة :

ـ كيف ؟!.. أشرطة المراقبة لم ترصد خروجها .

أشار بسبّابته ، قائلاً :

ـ هنا يكمن حل اللغز كله .. أين ذهبت السيارة ؟!..

وكيف اختفت ، داخل شبكة الأنفاق ؟!

كيف ؟!..

كيف ؟!

* * *

12ـ اختفـــاء! ..

بأى منطق كان ، لم يكن هناك أمل ..

أدنى أمل ..

(أكرم) و(رمزى) كانا وحدهما ، داخل وكر المسوخ ، من وحوش الجيل الثالث ، لتلك التجربة الرهيبة ..

والثلاثة يهاجمونهما ..

الشاب النسر ..

والحسناء القرش ..

والشاب الجواد ..

وفى تلك اللحظة بالذات ، كانت الحسناء القرش تنهض فى غضب وثورة ، لتنشب أنيابها فى جسد (أكرم) ، والشاب الجواد يطلق صهيلاً قتاليًا ، تمهيدًا للانقضاض ، فى حين يستعد الشاب النسر ، لغرس أنيابه الثعبانية ، وبث سمومها فى عنق (أكرم) ، الذى لم يتخلّص من قيود ساقه اليمنى بعد ..

ولقد أطلق الشاب النسر فحيحه ، فى أذنه مباشرة ..

وكان فحيحًا يحمل صوت الموت ..

لو أن له صوتًا ..

وبدا لـ (أكرم) أنها النهاية ..

بلا ريب ..

ولكن فجأة ، طار جهاز الطرد المركزى عبر الحجرة ، وارتطم بوجه الشاب النسر فى عنف ، ليلقى به أرضًا ، ويرتطم بعدد من الأجهزة الأخرى ، التى ازدحم بها المكان ..

والتفت (أكرم) بحركة حادة نحو (رمزى) ، الذى كان يلهث فى عنف ، من فرط الجهد والانفعال ..

وكم شعر (أكرم) لحظتها بالامتنان تجاهه ..

ولكن الموقف لم يكن يسمح بالتوقف ثانية واحدة ..

ولو للشعور بالامتنان ..

فالشاب الجواد كان ينقض ..

والحسناء القرش تهاجم ..

و ...

« معملى .. »

انطلقت صرخة العالم الكهل فجأة ، لترتطم بالجميع فى عنف ..

وعلى الرغم من عنف الموقف وسخونته وحدته ، لم تكد صرخته تنطلق ، حتى تجمَّد المشهد كله ، والتفتت العيون جميعها إليه بحركة واحدة ..

وفى لوعة ومرارة ، استطرد العالم الكهل ، دون أن يحاول حتى التخلُص من قيوده القوية :

ـ ماذا فعلتم أيها التعساء ؟!.. لقد حطمتم كل شىء .. حطمتم كفاح عمر بأكمله .

بدا وكأن الحسناء القرش قد نسيت أمر (أكرم) تمامًا لحظتها ، وهى تلتفت إلى العالم الكهل ، مزمجرة :

ـ إنها مجرَّد أجهزة ، يمكن تعويضها .

صرخ :

ـ تعويض ماذا ؟!.. إنكم تجهلون ما فعلتموه .. هذه الأجهزة تحوى تجارب عمرى كله ، وبعض المواد ، التى أرقتموها ، نتاج عمر كامل ، من الإعداد والتكوين .. هناك مواد تحتاج إلى أعوام ، حتى تصل إلى حالتها النشطة هذه .. لقد أضعتم عمرى .. عمرى كله .

تحرك (أكرم) فى حذر ، ليحل وثاق ساقه اليمنى ، والشاب الجواد يقول فى غضب :

ـ تلك المواد هى التى صنعت بنا هذا .. هى التى حوّلتنا إلى تلك المسوخ ، التى أصبحنا عليها .

هزّ العالم الكهل رأسه فى مرارة ، وهو يقول :

ـ الذى أصبحتم عليه هو حلم البشرية منذ الأزل .. القوة .. عقول البشر ، بكل ذكائها وحنكتها وألمعيتها ، مع قوة الحيوان والطير .. الصورة التى تخيّل البشر عليها الآلهة ، منذ قديم الأزل .

قال (رمزى) فى توتر :

ـ وأنت أردت أن تصنع منهم آلهة .

مطّ (أكرم) شفتيه ، قائلاً :

ـ يا للسخافة !

كان الموقف غريبًا وعجيبًا بحق ..

الأعداء ، الذين كانوا يتقاتلون ، منذ أقل من دقيقة واحدة ، أصبحوا كلهم يقفون جنبًا إلى جنب ، يتحدثون مع عالم كهل ، مقيد إلى منضدة تجارب ..

هتف العالم بكل مرارته :

ـ أية آلهة .. لقد أردت أن أصنع جيلاً جديدًا .. أردت أن أدفع عجلة التطور إلى الأمام .

صاح فيه (رمزى) :

ـ ومن أعطاك الحق فى أن تفعل ؟!

هتف العالم :

ـ العلم .. العلم يمنحك الحق فى أن تفعل كل ما يتيحه لك .

صاح (رمزى) :

ـ خطأ .. مبدأ مريض ، من رجل مختل .

التفتت إليه الحسناء القرش ، وأطلقت زمجرة وحشية غاضبة :

ـ اخرس .

وأضاف الشاب الجواد فى حدة :

ـ لا تسب والدنا .

هتف (أكرم) ، وقد تحرّر جسده تمامًا ، وهبط على قدميه :

ـ أى موقف مختل هذا ؟!.. لقد أفقدتموه وعيه ، وتريدون وضعه فى حالة أقرب إلى الموت ، ثم تغضبون ممن يسبه .. هل بلغ بكم التناقض هذا الحد ؟!

نهض الشاب النسر ، وهو يمسك جانب وجهه ، الذى يسيل منه الدم ، وقال فى عصبية :

ـ ليس هذا من شأنكما .. لن يمكنكما فهم موقفنا هذا ، مهما حاولتما .

وزمجرت الحسناء القرش مرة أخرى ، هاتفة :

ـ أنتما عدوّان .

قال (أكرم) ، فى سخرية عصبية :

ـ صدقت فى هذا .

التفتت إليه ، وقد برزت مخالبها ، وكشرت عن أنيابها ، واستعد هو لمواجهتها ، والتصق (رمزى) بالجدار ، والشاب الجواد يقترب منه ، مطلقًا صهيلاً قتاليًا خافتًا ، وبدا وكأن القتال سيتواصل مرة أخرى ، ولكن العالم الكهل هتف ، بكل مرارة الدنيا :

ـ لقد أرقتم أكسير حياتكم أيضًا .

التفتت إليه الحسناء القرش بحركة وحشية ، وتساءل الشاب النسر ، وهو يحاول إيقاف النزيف :

ـ ماذا تعنى يا أبى ؟!

راح العالم يهز رأسه ، شأن من فقد حلم عمره ، وهو يقول :

ـ تلك المادة ، التى كنت أحقنكم بها أسبوعيًا ، لم تكن مجرَّد مقويات كما أخبرتكم .. إنها المادة المسئولة عن الحفاظ على توازن ذلك المزيج الخلوى ، الذى أصبحتم عليه .

امتقع وجه الحسناء القرش ، وهى تقول :

ـ هل تعنى أن .. أن ..

أجابها فى مرارة فائقة :

ـ نعم .. بدونها سينهار توازنكم الخلوى والجينى تمامًا .

قال الشاب الجواد فى شحوب :

ـ هل سنفقد قدراتنا ؟!

صاح العالم فى انهيار :

ـ بل ستفقدون ما هو أخطر .. حياتكم .

انعقد حاجبا (أكرم) بشدة ، وتبادل نظرة متوترة مع (رمزى) ، فى حين امتقعت وجوه الشبان الثلاثة ، وغمغمت الحسناء القرش :

ـ يا للحقارة!

ثم اندفعت نحو العالم الكهل ، صارخة :

ـ ولماذا أخفيت عنا هذا ؟!.. لماذا .. لقد خدعتنا دومًا .. خدعتنا طوال الوقت .

برزت مخالبها الحادة الطويلة مع ثورتها ، وبدا وكأنها ستغرسها فى صدر العالم الكهل ، ولكن الشاب النسر أمسك يدها ، صائحًا :

ـ رويدك .. لو لقى مصرعه ، سنلقى حتفنا جميعًا .

صرخت :

ـ ألم تسمع ما قاله .. النهاية واحدة فى كل الأحوال !

صاح بها :

ـ وما زال أمامنا أسبوع كامل ، قبل أن نبلغها .

قال الشاب الجواد فى مرارة :

ـ وماذا يمكننا أن نفعل فى أسبوع واحد ؟!

أجابه الشاب النسر فى سرعة :

ـ نحقق الحلم .

وتألّقت عيناه على نحو عجيب ، وهو يضيف :

ـ نسيطر على العالم .

هتف (أكرم) فى غضب :

ـ ومن سيسمح لكم بهذا ؟!

التفت الثلاثة إليه وإلى (رمزى) ، وقالت الحسناء القرش ، فى مقت واضح :

ـ لن يكون هناك من يمكنه منعنا .

ثم عادت تبرز أنيابها ومخالبها ، وهى تضيف :

ـ عندما ننتهى منكما .

وعقب عبارتها ، انقض الثلاثة انقضاضة رجل واحد ، على (أكرم) و(رمزى) ..

وفى هذه المرة لم يكن هناك أمل ..

بحق .

* * *

لهث مسئول الأمن فى مدينة (الإسكندرية) ، على نحو ملحوظ ، وهو يلوّح بيده ، هاتفًا :

ـ كنت على حق أيها المقدم .

التفت إليه (نور) ، متسائلاً فى لهفة :

ـ هل عثرت عليها ؟!

أومأ الرجل برأسه فى انفعال ، وهو يجيب :

لجأنا إلى الوسائل التقليدية القديمة كما نصحت ، وأرسلت رجالنا يتفقدون شبكة الممرات والأنفاق ، وأنت تعلم أنه توجد دومًا ، فى كل شبكات الأنفاق ، مناطق مخصصة للسيارات ، التى تصاب بعطل ما ، حتى لا تعيق حركة السير ، و ...

قاطعته (سلوى) فى توتر :

ـ عثرتم على سيارتهم إذن .

أومأ الرجل برأسه مرة أخرى ، مجيبًا :

ـ نعم .. هنا .

قالها وهو يشير إلى بقعة على خريطة الأنفاق ، فالتفت (نور) إلى ابنته (نشوى) ، وسألها فى اهتمام بالغ :

ـ هل رصدت كاميرات المراقبة خروج سيارات جديدة من الشبكة ، لم ترصد دخولها فى الوقت المناسب ، أو سيارة استغرق عبورها الأنفاق وقتًا أطول مما يتطلبه هذا .

راجعت بيانات جهاز الكمبيوتر الخاص بها فى سرعة ، قبل أن تقول :

ـ كلا ..

أومأ برأسه ، مغمغمًا :

ـ هذا يؤيِّد نظريتى .

سأله مسئول الأمن ، ولم يتوقَّف عن لهاثه العجيب بعد :

ـ أية نظرية ؟!

لم يحاول (نور) حتى إجابة سؤاله ، وهو يقول لابنته :

ـ حاولى دمج شبكة أنفاق التهوية بشبكة الممرات .

ضغطت أزرار الكمبيوتر فى سرعة ، قبل أن تعتدل ، قائلة فى توتر شديد ، من فرط قلقها على زوجها :

ـ ها هى ذى ، ولكنه أمر شديد التعقيد .

غمغم مسئول الأمن :

ـ مراجعة كل هذه الأنفاق الهوائية يحتاج إلى أسبوع على الأقل .

امتقع وجه (نشوى) ، وغمغمت (سلوى) فى عصبية :

ـ لسنا نملك حتى ساعة واحدة .

أشار (نور) بسبَّابته ، قائلاً :

ـ ولكننا نملك سلاحًا شديد الخطورة .

سألته فى لهفة :

ـ وما هو ؟!

أجاب بسرعة :

ـ بل قولى من هو؟

ثم أشار إليها ، مضيفًا فى حزم :

ـ إنه أنت .

واتسعت عيون الجميع بدهشة ..

بكل الدهشة ..

* * *

كل قواعد المنطق كانت تؤكِّد أنها النهاية ..

(أكرم) و(رمزى) مسجونان داخل معمل نصف محطَّم ، لا يدريان حتى أين يقع بالضبط ، وثلاثة من المسوخ ، ذات القوى الهائلة ، والسمات الوحشية ، يهمون بالانقضاض عليهم ..

ولا يوجد مهرب واحد ..

أى مهرب ..

« لا تظنون أننا سنستسلم لمصيرنا بهذه البساطة .. » نطقها (أكرم) فى عصبية شديدة ، وتحفز تام ، فى حين تراجع (رمزى) فى توتر شديد ، حتى التصق بالجدار ، ويداه تبحثان عن أية وسيلة للقتال ..

أية وسيلة ..

على الإطلاق ..

وعلى الرغم من إدراك (أكرم) الشديد لفارق القوة ، بينهما وبين المسوخ الثلاثة ، فقد اتخذ وقفة قتالية متحفزة ، وهو يهتف :

ـ لو مس أحدكم شعرة منا ، فسوف ..

قاطعته الحسناء فى شراسة :

ـ فسوف تفعل ماذا أيها البشرى ؟!.. ألم تدرك طبيعة الأمر بعد .. بغض النظر عما ارتكبه والدنا فى حقنا ، فهناك كائنات أرقى منكم .. كائنات جبارة .

قال (رمزى) فى توتر :

ـ بل كائنات ممسوخة مسكينة ، تستحق الشفقة والرثاء .. كائنات لا هى برقى البشر ، ولا بقوة الحيوان والطير .. كائنات

لن يمكنها حتى أن تتعايش مع ما حولها ومـن حولهـا ، وكـل مـا تفعله هو أن تختبئ فى جحر كالجرذان .

صرخت فى عصبية :

ـ اصمت .

ثم وثبت تنقـض عليـه ، فـى نفس اللحظـة التـى انقضـى فيهـا الشابان على (أكرم) ..

وبكل قوته ، ودون حتى تحديد هدفه ، راح (أكرم) يركل .. ويلكم ..

ويضرب ..

و ...

« ضربة أخرى ، وقل لرفيقك وداعًا .. »

هتفت بها الحسناء فى قسوة ، فالتفت إليها فـى حـدة ، وانعقد حاجباه شدة ، مع ذلك الانفعال الجارف ، الذى ماج به جسده كله ..

فهناك ، فى ركن المعمل ، كانت الحسناء القرش تكبل حركـة (رمزى) ، وتضع أسنانها الحادة على عنقه ..

وعلى الرغم من دقة موقفه وصعوبته ، هتف (رمزى) :

ـ لا تستسلم يا (أكرم) .. قاتل حتى النهاية .

كان هتافه هذا يتفق مع مـا يمـوج بـه عقل (أكرم) بـالفعل ، إلا أن هذا الأخير لم يكد يرى رفيقه فى هذا الموقف ، حتـى خفض قبضتيه ، وترك الشابان ينقضان عليـه من الخلف ، ويكبلان حركتـه فى إحكام ..

وفى مرارة ، قال (رمزى) :

ـ كان ينبغى أن تقاتل .

غمغم (أكرم) :

ـ النهـاية واحـدة فى الحالتين يا صديقى ، ولكننى لم أحتمـل رؤية تلك المتوحشة تقتلك أمام عينىّ .

زمجرت الحسناء القرش ، هاتفة :

ـ ومن أدراك أننى لن أفعلها الآن ؟!

نعم .. من أدراه ..

لقد استسلم دون أن يفكر حتى فى هذا الاحتمال ..

استسلم لأن عواطفه ، التى طالما قاومهـا ، قد انتصرت على عقله ، ودفعته إلى تغيير مساره المعتاد ..

ذلك المسار الهمجى كما يصفونه ، والـذى يتعامل مع الأمور بمنطـق المقـاتل المحـترف ، وليـس بمنطـق رجـل المخـابرات الرصين ، فى جهاز علمـى ، يتطلّب المعرفـة وحسـن التدبير .. ولكن كل شىء من حوله يوحى بأنهم سيقتلونهما فى النهاية ..

وما دام الموت آت لا ريب ، فليمت فى سبيل من يؤمن به ..

ومن يحب ..

ويصادق ..

كان الشاب النسر يمسك به من الخلف ، ولسـانه الطويل المشقوق يتراقص أمامه ، وهو يهمس فى أذنه ، بصوت كالفحيح :

ـ أعترف أنك تثير إعجابى يا سيد (أكرم) ، ولكننى مضطر لـ ...

قاطعه فجأة صوت العالم :

ـ لا .

التفت الكل إليه فى تساؤل ، وهتفت الحسناء القرش فى حدة :

ـ لا تستمع إليه أيها النسر .. اغرس أنيابك السامة .. هيا .

تردّد الشاب النسر لحظـة ، كـانت كافيـة ليهتـف العـالم ، وهـو مستسلم تمامًا لقيوده وموقفه :

ـ لا .. لو قتلتموهما ستخسرون الكثير .

صهل الشاب الجواد ، هاتفًا فى سخط :

ـ نخسر ماذا ؟!.. لقد خسرنا مستقبلنا بالفعل ، فمـاذا ينتظرنـا أسوأ من هذا ؟!

أجابه العالم ، وهو يغمض عينيه فى مرارة :

ـ ستخسرون أسبوعًا إضافيًا ، لا أحد يدرى كيف يمكن أن تتطوّر فيه الأمور ، فى زمن تسارع فيـه الإيقـاع إلـى حده الأقصى ، كهذا الزمن .

قال الشاب النسر فى عصبية :

ـ مهما حدث ، ومهما فعلنا ، سنموت فى النهاية .

تردّد العالم لحظات ، ثم قال ، فى صوت أقرب إلى الهمس :

ـ ربما لا .

تألّقت عيون الجميع فى لهفة ، وغمغم (أكرم) فى عصبية :

ـ ما هذا بالضبط ؟!.. مسلسل بوليسى هولوفيزيونى ؟!

صرخت فيه الحسناء القرش :

ـ اصمت .

ثم التفتت إلى العالم ، مكملة فى حدة :

ـ ماذا تخفى أيها العجوز ؟!

صمت العالم لحظات ، قبل أن يجيب فى بطء :

ـ زجاجة .. زجاجة من إكسير حياتكم .

وكانت مفاجأة قوية ..

للغـاية .

* * *

13 ـ أصـــوات ..

« مستحيل !.. »

نطق كبير طاقم العلماء المعاونين الكلمة ، وهو يهـز رأسـه نفيًا ، أمام الدكتور (حجازى) ، الذى بدا آسفًا يائسًا ، وهو يقول :

ـ حتى ولو حصلتم على كل المساعدات الممكنة ؟

هزّ الرجل رأسه نفيًا مرة أخرى ، وقال :

ـ المشكلة لا تكمن فى الإمكانيات والمساعدات ، بل فى التفـاعل الحيوى المنشود ، لإنتاج المضاد ، فهو يحتاج إلى يومين كاملين علـى أقل تقدير ، ولقد حاولنا تحفيزه ، باستخدام الأشعة فوق البنفسجية ، أو حتى بالاستحثاث الليزرى ، إلا أنه لم يستجب لأيهما .

غمغم الدكتور (حجازى) :

ـ ربما ليس فى الظروف المعملية الطبيعية .

أجابه الرجل فى حزم :

ـ ولا حتى فى الظروف المستحدثة .. لقد حاولنا استخدام الوسـط الدافئ ، والمعامل المفرغة من الهـواء ، وحتى التى يتم تنشـيطها

بالأشعة الأيونية ، ولم يمكننا الحصول على شىء .. أى شىء .. التفاعل الحيوى يحتاج إلى زمنه الفعلى ، مهما كانت المؤثرات الخارجية .

زفر الدكتور (حجازى) فى توتر ، وقال فى أسف وأسى :

ـ إذن فلا توجد وسيلة عاجلة ، لمواجهة تلك المسوخ .

تردَّد كبير طاقم العلماء لحظة ، قبل أن يقول فى حذر :

ـ ليس جميعهم .

رفع الدكتور (حجازى) عينيه إليه بحركة حادة ، يسأله :

ـ ماذا تعنى ؟!

أجابه فى حذر أكثر :

ـ التجارب الأوَّلية ، أنتجت جرعة واحدة من ذلك المضاد ، لن تكفى لمواجهتهم جميعًا ، ولكن ربما ..

تردَّد باترًا عبارته مرة أخرى ، فقال الدكتور (حجازى) يستحثه :

ـ ربما ماذا ؟!..

تنهَّد الرجل فى توتر ، مجيبًا :

ـ ربما تكفى للقضاء على واحد منهم فحسب .

انعقد حاجبا الدكتور (حجازى) ، وهو ينظر إليه فى صمت ، فغمغم مستطردًا :

ـ يعتمد هذا المضاد على كسر التوازن الجينى ، الذى يجمع كل تلك الصفات الوراثية فى جسد واحد ، فعمليًا ، يستحيل أن تندمج جينات الأنواع المختلفة ، فى ضفيرة وراثية واحدة ؛ إذ ينشأ حتمًا تنافر قوى ، بين الجينات غير المتماثلة ، ولكى يحدث هذا الاندماج ، على النحو الذى رأيناه ، لابد من وجود مادة وسيطة ، تشبه تلك التى استخدمت قديمًا ، فى عمليات زرع الأعضاء ، لمساعدة الضفيرة الوراثية على قبول جينات من أنواع مختلفة ، ولقد حصلنا على عينة من تلك المادة ، من الأجزاء التى وصلتنا ، وأمكننا صنع مضاد لها ، يعمل على فصل الجينات ، أو يعيدها إلى حالة التنافر ، فتنهار الضفيرة الوراثية ، وينهار معها التوازن الخلوى كله بالتالى .

بدا الدكتور (حجازى) شاردًا ، وهو يغمغم فى انفعال :

ـ إذن فلدينا جرعة لمواجهة مسخ واحد .

غمغم الرجل :

ـ بالضبط .

هبَّ الدكتور (حجازى) واقفًا بحركة حادة ، وقال :

ـ وأين هى ؟!

حدَّق الرجل فيه بدهشة ، قائلاً :

ـ نحتفظ بها هنا ، ولكنها مجرد جرعة تجريبية ، لست أظن أن ...

قاطعه الدكتور (حجازى) ، فى صرامة حادة :

ـ أين هى ؟!

مدَّ الرجل يده يتناول الجرعة ، وهو يغمغم متوترًا :

ـ هل تعتقد أن ...

قاطعه الدكتور (حجازى) مرة أخرى فى انفعال :

ـ من يدرى يا رجل ؟!.. من يدرى ..

نعم .. من يدرى ؟!..

من ؟!..

* * *

على الرغم منها ، شعرت (سلوى) بانقباض شديد فى صدرها ، وهى تزحف مع (نور) ، عبر أنفاق التهوية الرئيسية ، وغمغمت فى عصبية واضحة :

ـ أكان هذا ضروريًّا ؟!

أجابها (نور) ، محاولاً التشبث بأقصى قدر ممكن من الهدوء :

ـ شبكة أنفاق التهوية تمتد لنصف (الإسكندرية) تقريبًا ، وبالذات لكل المنشآت الحديثة نسبيًا ، والموجودة خارج حدود المدينة القديمة ، ولابد لنا من التواجد داخلها ، حتى يمكننا التقاط الأصوات المطلوبة .

شعرت بضيق أكثر ، فى هذا المكان الضيق ، وهى تحاول إعداد جهازها للعمل ، مغمغمة :

ـ أأنت واثق من أنها الوسيلة الوحيدة المتاحة ؟!

قال فى حسم :

ـ بالتأكيد .

تصوَّرت أنه سيكتفى بهذا التأكيد المقتضب ، إلا أنه صمت لحظة ، ثم تابع فى اهتمام :

ـ المفترض أن تقود كل أنفاق التهوية إلى منشآت سكنية ، أو منطقة صناعية جديدة ، ولقد طلب الأمن من كل المصانع فى المنطقة إيقاف آلاتها ، لمدة خمس عشرة دقيقة فحسب ، وخلال

هذه الفترة ، سيقوم جهازك برصد كل الأصوات ، التى تنقلها شبكة التهوية ، وتحديد مصادرها .

غمغمت ، وهى تستعد لتشغيل جهازها :

ـ ثم ؟!

أكمل فى اهتمام :

ـ المفترض ألا يلتقط جهازك سوى أحاديث منزلية ، أما لو التقط شيئًا آخر ، فربما يقودنا هذا إليهم .

تمتمت فى عصبية :

ـ شىء مثل ماذا ؟!

أجاب فى سرعة :

ـ صهيل جواد ، أو خفقان أجنحة كبيرة ، أو صراخ دولفين .

ضغطت زر تشغيل جهازها ، وهى تقول :

ـ فهمت .

اشتعل مصباح أحمر صغير ، فى قمة الجهاز ، وراحت عشرات التموجات الصوتية ترتسم على شاشته ، فى سرعة كبيرة ، و(سلوى) تغمغم فى توتر :

ـ برنامج الكمبيوتر ، الذى ابتكرته (نشوى) ، يمكنه مسح ورصد وتسجيل وتصنيف عشرات الأصوات ، فى لحظة واحدة .

سألها فى اهتمام :

ـ وماذا لديك حتى الآن ؟!

صمتت لحظة ، تابعت خلالها المنحنيات التى تتراص على الشاشة فى سرعة ، ثم غمغمت فى ضيق وتوتر :

ـ لا شىء .

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يتساءل :

ـ على الإطلاق ؟!

تمتمت فى أسى :

ـ على الإطلاق .

ازداد انعقاد حاجبيه فى توتر شديد ، وهو يعيد دراسة الأمر كله فى ذهنه ..

إنهم هنا حتمًا ..

فى مكان ما هنا ..

كل الأدلة تؤكد هذا ..

ولكن أين هم ؟!..

أين يجدهم ؟!..

وكيف ؟!..

صمتت (سلوى) تمامًا ؛ لتمنحه مهلة للتفكير كما اعتادت ، واستغرق هو دقيقتين كاملتين تقريبًا ، قبل أن يرفع يده بساعة الاتصال ، ويضغط زرًا في جانبها ، وهو يقول في حزم :

ـ (نشوى) .. هل تسمعينني ؟!

أجابته (نشوى) في انفعال واضح :

ـ نعم يا أبي .. هل عثرتما عليهما ؟!

تجاهل إجابة سؤالها ، وهو يقول :

ـ هل يمكنك إضافة صوتي (رمزي) و(أكرم) ، إلى برنامج التعقب الصوتي ؟!

صمتت (نشوى) لحظات ، دون أن تحاول تكرار سؤالها ، ثم قالت :

ـ سأحاول .

مضت لحظات من الصمت ، استثارت مشاعر (سلوى) ، فغمغمت في عصبية :

ـ من أين ستأتي بنموذج لصوتي (أكرم) و(رمزي) ؟!

أجابه حازمًا :

ـ لديها شبكة المعلومات المفتوحة ، والشبكة الخاصة بالجهاز ..

وصمت لحظة ، ثم أضاف :

ـ وستجد وسيلة .

مرت لحظة أخرى من الصمت ، ثم أتى صوت (نشوى) ، وهي تقول :

ـ أبي .. أوصل ساعة الاتصال بجهاز أمي .

جذب (نور) حلية دقيقة في طرف ساعته ، وألصقها بجانب جهاز (سلوى) لحظات ، تم خلالها تبادل المعلومات بتقنية متطوِّرة ، قبل أن تقول (نشوى) :

ـ صوتاهما في البرنامج بالفعل .

غمغم (نور) ، وهو ينهي الاتصال :

ـ أحسنت .

ثم التفت إلى (سلوى) ، يسألها :

ـ هل يمكنك تشغيله مرة أخرى ؟!

ضغطت (سلوى) زر الجهاز مرة أخرى ، وراحت المنحنيات تتراص مرة ثانية فى عنف ، و ...

« وجدتهما .. »

وانتفض قلب (نور) ..

بعنف .

* * *

لم تبد الحسناء القرش ، منذ رآها (أكرم) أوّل مرة ، يمثل تلك الشراسة الوحشية ، التى رآها عليها فى تلك اللحظة ، وهى تندفع نحو العالم الكهل ، وتجذبه من معطفه المتهالك فى قسوة ، غير مبالية بسنه أو قيوده ، مع صرخاتها فى وجهه :

ـ إذن فقد كنت تخفيها .. كنت تخفى زجاجة تمنحنا الحياة .

لم يبد عليه الخوف أو التأثُّر ، وهو يقول :

ـ كنت أحتفظ بها ، كنتاج لتجارب استغرقت عامين كاملين .. إنها تحوى جرعات جديدة ، أكثر قوة وفاعلية .. جرعات تكفى لحياة طويلة .. نسبيًا .

صرخت فيه :

ـ وأين تلك الزجاجة ؟!.. أين ؟!

مرة أخرى لم يبد عليه الخوف ، وهو يقول :

ـ إنها مجرد عينة أوّلية ، لن تكفيكم جميعًا .

سأله الشاب النسر ، فى توتر خافت :

ـ ماذا تعنى يا أبى ؟!

أدار العالم عينيه إليه ، مجيبًا فى هدوء :

ـ أعنى أنها ستكفى واحدًا منكم فقط ؛ ليحيا خمس سنوات آمنة ، إذا ما حصل على جرعة كاملة منها ، وهى تكفل لجرعة واحدة فقط ، ولكن ..

قاطعه الشاب الجواد فى عنف :

ـ ولكن لماذا ؟!.. لماذا أخفيت أمرها عنا ؟!.. لماذا ؟!

قال العالم فى أسى :

ـ لأنها ما زالت فى طور التجريب .

عادت الحسناء القرش تجذبه فى قسوة ، صارخة :

ـ وأين هى ؟!.. أجب .

تطلّع إلى عينيها مباشرة ، وقال :

ـ وماذا لو لم أفعل ؟!.. هل ستقتليننى ؟!

احتقن وجهها بشدة ، وأطلقت صرخة حادة مخيفة ، ثم قالت فى قسوة وشراسة لا مثيل لهما :

ـ ربما أفعل ما هو أسوأ .

ثم استدارت تلتقط وعاءً من أحد الأرفف ، لوّحت به فى وجهه ، هاتفة بشراسة أكبر :

ـ هل تعرف هذا ؟!.. إنه حامض ضعيف ، لا يكفى لتشويهك ، إذا ما سكبته عليك ، ولكنه سيلهب جسدك ، ويأكل لحمك فى بطء ، وعندما يبلغ أطرافك العصبية ، ستتلوّى من فرط الألم والعذاب ، وسأحرص كل الحرص ، على ألا يتوقّف عذابك لحظة واحدة ، وعلى أن تبقى حيًا أيضًا ؛ لتذوق كل قطرة منه ، حتى ينتهى الأسبوع ، فأرحل ، وأتركك تكمل عذابك حتى الموت .

ولأوّل مرة ، امتقع وجه العالم ، وهو يقول بصوت مرتجف :

ـ لن تجرؤى .

أمالت الوعاء قليلاً ، فانسكبت قطرات منه على ذراعه ، وهى تقول فى وحشية مخيفة :

ـ جربنى .

أطلق العالم صرخة عالية ، من شدة الألم ، فهتف (أكرم) ، وهو يحاول التخلص من الشاب النسر :

ـ أيتها الحقيرة .

أما (رمزى) ، والذى تركته الحسناء القرش للشاب الجواد ، فقد تمتم :

ـ يا للبشاعة !

ولكن الحسناء القرش صرخت مرة أخرى :

ـ أين الزجاجة ؟!

صرخ العالم ، وهو يتلوى فى ألم :

ـ لن تكفيكم جميعًا .. إنها ما زالت فى طور التجارب .

سكبت قطرات أخرى على صدره ، صارخة :

ـ أين هى ؟!

انطلقت صرخة العالم مدوية هذه المرة ، واحتقن وجهه ، وتفجّرت الدموع من عينيه ، وهو يهتف :

ـ الرحمة ..

قال (أكرم) فى مقت :

ـ الإله لا يطلب الرحمة ممن صنعهم .

تمنت الحسناء القرش لو أنها قطعت لسانه فى هذه اللحظة ، إلا أنها كانت منشغلة تمامًا بالحفاظ على حياتها ، فصرخت فى العالم :

ـ لو لم أحصل على إجابة سريعة مباشرة ، سأصب ما تبقى فى حلقك ، هل تفهمنى .

صرخ العالم فى ألم شديد :

ـ كيف تفعلين بى هذا ؟!.. أنا والدك ..

تفجَّرت نيران الغضب الوحشى فى ملامحها وعينيها ، وأمسكت فكه بالقوة ، وأجبرته على فتح فمه ، فقال الشاب النسر فى عصبية :

ـ لو مات سنلحق به كلنا .

صرخت :

ـ فلنذهب إلى الجحيم معًا إذن .

وهنا هتف العالم ، وقد تملكه رعب حقيقى ، لأوَّل مرة فى حياته :

ـ إنها هناك .. فى خزانتى الخاصة .

تراجع الشاب الجواد ، وهو يمسك (رمزى) ، عندما انقضت الحسناء القرش على الخزانة ، وراحت تجذب بابها فى عنف هستيرى ، قبل أن تصرخ فى العالم :

ـ ما رقمها ؟!

قال مرتجفًا ، وهو ما زال يعانى آلامًا شديدة :

ـ إنها تُفتح ببصمة إبهامى وحدها .

انقضت عليه فى وحشية شديدة ، فهتف بها الشاب النسر فى صرامة :

ـ كفى .. لقد تجاوزت حدودك .

قالها وهى تهم بقضم معصم العالم ، فى وحشية هستيرية مخيفة ، فالتفتت إليه صارخة فى وحشية ، وأطلق هو فحيحًا رهيبًا ، ارتجف له جسد (أكرم) ، فهتف فى سخط :

ـ يا للسخافة !

ثم دفع جسده إلى الخلف بحركة حادة مفاجئة ، أفقدت الشاب النسر توازنه ، فسقط على ظهره ، وأفلته على الرغم منه ، فأطلق الشاب الجواد صهيلاً ، وتراجع وهو يمسك (رمزى) فى قوة ، وصرخت الحسناء القرش :

ـ أوقفوهما .

وثب الشاب النسر واقفًا على قدميه ؛ لينقض مـرة ثانيـة علـى (أكرم) ، فتراجع هذا الأخير ، هاتفًا :

ـ لن تجد أمامك فريسة سهلة هذه المرة .

وصرخ (رمزى) فى انفعال :

ـ قاتل يا (أكرم) .. قاتل .

ضغط الشـاب الجـواد عنـق (رمزى) ، وهـو يطلـق صهيـلاً تحذيريًا غاضبًا ، وانقض الشاب النسر على (أكرم) بكـل قوتـه ، ولكن (أكرم) انقض عليه بدوره ، وكلاهما يطلق صرخـة قتاليـة رهيبة ، وصرخت الحسناء القرش بدورهـا ، وتحوَّل المكـان فـى لحظة واحدة إلى ساحة جنونية عنيفة ..

سـاحة ينطلق فيهـا فحيح ثعبان ، وصهيل جـواد ، وصرخـة دولفين ، وهتاف بشر ، و ...

ووثب (أكرم) بكل قوته ، ثم ضم إليه سـاقيه ، وضرب بهمـا معًا صدر الشاب النسر ، بكل ما يملك من قوة ..

ومع عنف الضربة ومفاجئتها ، تراجع الشـاب النسر فـى عنـف ، وارتطم بصندوق التوزيع الكهربى ، وانطلقت فى المكان شـرارة كهربية عنيفة ..

وانتفض جسد الشاب النسر ..

وانتفض ..

وانتفض ..

وانتفض ..

ثم اتسعت عيناه عن آخرهما ..

وهوى ..

ومع سقوطه ، وارتطامه بالأرض فى عنف ، ساد المكان فجأة صمت رهيب مخيف ..

الكل راح يحدِّق فى الشاب النسر ..

(أكرم) ..

و(رمزى) ..

والشاب الجواد ..

والحسناء القرش ..

وحتـى ذلك العالم الكهل ، والذى كان أوَّل من حطَّم حـاجز الصمت الرهيب ، وهو يهتف فى مرارة ولوعة :

ـ ولـدى .

وهنا زمجرت الحسناء القرش ، صارخة فى (أكرم) :

ـ أنت .. أنت قتلته .

ارتجف صوت (أكرم) ، من فرط التوتر والانفعال ، وهو يهتف :

ـ ولى كل الفخر .

كشرت عن أنيابها الحادة الرهيبة ، وانقلبت سحنتها على نحو مخيف ، وهى تقول :

ـ وستدفع الثمن .

قالتها ، وتركت العالم الكهل ، وانقضت بمنتهى العنف والوحشية على (أكرم) ، الذى حاول استقبالها بركلة أخرى ، ولكنها دفعته أرضًا ، وجثمت فوقه ، وهى تصرخ :

ـ قل وداعًا للعالم الذى تعرف .

وبكل رعب الدنيا ، صرخ (رمزى) :

ـ يا إلهى !.. (أكرم) .

فقد انقضت أسنان الحسناء القرش بكل غضبها وثورتها وانفعالها على عنق (أكرم) ..

مباشرة .

* * *

14ـ الختام ..

لحظة واحدة ، كانت تفصل بين الحياة والموت ..

لحظة ، تكفى لأن تغرس فيها الحسناء القرش أنيابها الحادة ، فى عنق (أكرم) ، بكل العنف والشراسة والقسوة ..

لحظة واحدة ..

ولكن فجأة ، اندفع جسم أسطوانى من فتحة التهوية أعلى الجدار ، وسقط على الأرض وسط المعمل ، بصوت معدنى عنيف ..

جسم تعرّفه (أكرم) و(رمزى) من النظرة الأولى ، من قبل حتى أن يهتف العالم الكهل فى ارتياع :

ـ احترسوا .

وقبل حتى أن ينتهى هتافه ، تفجّر ذلك الجسم الأسطوانى دفعة واحدة ...

وانطلق فى المكان دخان وردى اللون ..

دخان جعل العالم ، والحسناء القرش ، والشاب الجواد يسعلون ..

ويسعلون ..

ويسعلون ..

وغابت الرؤية تمامًا لحظات ..

وفى تلك اللحظات ، سمع الجميع صوت ضربة عنيفة ، أعقبها سقوط جسم معدنى على أرضية المعمل ، ثم سقوط أقدام تهبط على الأرضية فى عنف ، قبل أن يهتف (أكرم) فى انفعال :

ـ مرحى يا رفاق .

شعر بالحسناء القرش تفلته ، وتبتعد مسرعة ، فى حين راح الشاب الجواد يطلق صهيلاً عصبيًا ..

وثانيًا ..

وثالثًا ..

ورابعًا ..

وبعدها انطلقت فى المكان صرخة هائلة مدوية ..

صرخة حملت صوت العالم الكهل ، قبل أن ينقشع الدخان الوردى فى بطء ، ليرى (أكرم) مشهدًا ، جمع فى أعماقه بين الفرحة والدهشة والاشمئزاز فى مزيج مدهش ..

الفرحة لأنه رأى (نور) ، مع اثنين من رجال الأمن ، داخل المعمل ، وكل منهم يرتدى قناعًا صغيرًا ، واقيًا من الغازات ، و(نور) يندفع نحو الشاب الجواد ، الذى يمسك (رمزى) ، ويصوِّب إليه مسدسه الليزرى ، هاتفًا فى صرامة :

ـ انتهت اللعبة يا هذا .. استسلم وإلا ..

أما الدهشة والاشمئزاز ، فلرؤيته الحسناء القرش ، وهى تندفع نحو الخزانة ، ممسكة فى يدها إصبعًا ..

إبهام العالم الكهل ، الذى راح يصرخ فى ألم شديد ، والدماء تنزف فى شدة ، من موضع إبهامه المقطوع ..

وبكل اشمئزازه وغضبه ، صرخ (أكرم) ..

ـ أيتها الحقيرة .

كان الشاب الجواد يحاول المقاومة ، فى تلك اللحظة ، ويحاول اعتصار عنق (رمزى) فى الوقت ذاته ، ولكن رجلى الأمن حاصراه ، وصرخ فيه أحدهما بكل الصرامة :

ـ استسلم .

صهل الشاب الجواد فى عصبية ، وامتزج صهيله بصراخ العالم المتصل ، وبصيحة (نور) ، وصرخة الحسناء القرش ، وهى تلصق الإبهام المقطوع بمكانه الخاص فى باب الخزانة ، وركل الشاب بقوائمه فى عصبية ..

وانطلق خيط من خيوط الليزر ..

وثان ..

وثالث ..

وتفجَّرت الدماء من رأس الشاب الجواد ، وعنقه ، وأفلت (رمزى) على الرغم منه ، وتراجع مترنحًا ، فأطلق عليه أحد الرجلين طلقة أخرى ، على الرغم من صرخة (نور) :

ـ هذا يكفى .

وسقط الشاب الجواد صريعًا ، وهو يطلق صهيلاً أخيرًا ، فى حين اندفع (أكرم) نحو الحسناء القرش ، وهو يصيح فى صرامة :

ـ على جثتى .

التفتت إليه فى شراسة ، وهى تطلق تلك الصيحة الحادة المخيفة ، وتكشر عن أنيابها الرهيبة ..

ولكنه وثب ..

كانت قد منحت باب الخزانة بالفعل ، عندما وثب بكل قوته ، ودفعها بيده اليمنى ، فى حين اختطفت يده اليسرى تلك الزجاجة الصغيرة ، داخل الخزانة ، قبل أن يدور حول نفسه ، ليسقط بعيدًا عنها ..

ولكن الحسناء القرش غرست مخالبها فى صدره فى اللحظة الأخيرة ، وجذبته إليها فى عنف ، صارخة :

ـ لن تحصل عليها أبدًا .

استدار (نور) ورجلا الأمن إليها بمسدساتهم ، فى سرعة رهيبة ، وصاح (نور) فى صرامة :

ـ انتهت اللعبة يا عروس البحر الوحشية .. المكان كله محاط بقوات الأمن .. لن تجدى وسيلة واحدة للفرار .

زمجرت فى وحشية ، وصرخت :

ـ أنتم المحاصرون لا أنا .. ربما تمنعنى قوات أمنكم من الخروج ، ولكنها لن تمنعنى من تمزيقكم إربًا .

هتف أحد رجلى الأمن :

ـ هذا لو بقيت حية .

قالها وأطلق أشعة مسدسه نحوها ، ولكن الأشعة أصابتها ، ثم ارتدت عنها فى عنف ، وزمجرت هى ، وهى تثب نحوه ، دون أن تفلت (أكرم) ، وضربت عنقه بمخالبها الحادة ، فتفجَّرت منه الدماء ، وجحظت عيناه ، وهو يطلق شهقة مخيفة ، وسقط يتلوى على الأرض ، فانعقد حاجبا (نور) ، وهتف رجل الأمن الثانى ، وهو يطلق أشعة مسدسه نحوها بدوره :

ـ مستحيل !.. مستحيل !

مرة أخرى ، ارتدت الأشعة عن جسدها فى قوة ، ودارت هى حول نفسها ، مفلتة (أكرم) هذه المرة ، وغرست مخالبها فى صدر الرجل ، ثم جذبته إليها ، وهوت بأسنانها الحادة ، تلتهم نصف عنقه بقضمة واحدة ..

وتراجع (رمزى) فى رعب شديد ، وانعقد حاجبا (نور) فى شدة ، فى حين قالت هى فى وحشية :

- لم تفهموا بعد .. جسدى مغطى بقشور سميكة ، تحت طبقة الجلد البشرى مباشرة .. قشور تعجز حتى الرصاصات التقليدية عن اختراقها .

رفع (أكرم) يده بزجاجة الإكسير الصغيرة ، وهو يهتف :

- ولكن الزجاجة معى ، ويمكننى تحطيمها .

قالت فى سخرية وحشية :

- لو أنك ألقيت نظرة جيدة عليها ، لأدركت أنها غير قابلة للكسر ، ثم إننى سأستعيدها حتمًا ، بعد أن أقضى عليكم جميعًا .. الآن .

والتمعت عيناها على نحو مخيف ، وكشرت عن أنيابها ، وأبرزت مخالبها الحادة الطويلة ، وانطلقت من حلقها تلك الصيحة الدوليفينية الحادة المخيفة ، و ... وفجأة ، وثب (أكرم)

يلتقط مسدس أحد رجلى الأمن ، اللذين لقيا مصرعهما ، ثم دار حول نفسه ، صارخًا :

- ربما لا تقتلك الأشعة .

وأطلق أشعة المسدس ، مكملاً :

- ولكنها تقتله .

شهقت فى رعب هائل ، عندما رأت أشعته تصيب العالم الكهل .. فى موضع القلب تمامًا ..

واتسعت عينا العالم بشدة ، وانتفض جسده فى عنف ، وهتف (نور) فى حدة :

- لماذا يا (أكرم) ؟!.. لماذا ؟!

غمغم (أكرم) ، وهو ينهض فى بطء :

- إنها الوسيلة الوحيدة .. قتله بيديها .

اتسعت عينا الحسناء القرش ، وارتجف جسدها فى شدة ، وراحت ملامحها السميكة تختفى ، ويستعيد وجهها حسنه ، وهى تقول فى رعب ، أعاد إليها الكثير من آدميتها المفقودة :

- لا أريد أن أعيش .. إننى أخاف الموت .. لا أريد أن أموت .. لا أريد أن أموت .

ولكن العالم انتفض مرة ..

وثانية ..

وثالثة ..

ثم أطلق شهقة أخيرة ..

وانتهى أمره تمامًا ..

ومع سقطة رأسه الأخيرة ، أطلقت الحسناء القرش صرخة عالية ، فألقى (أكرم) الزجاجة الأخيرة من يده ، واندفع نحو (نور) و(رمزى) ، صارخًا :

ـ احترسا .

وثب نحوهما ، ودفعهما أرضًا ، فى نفس اللحظة التى انفجر فيها دماغ الحسناء القرش بدوى مكتوم ، أعقبه انفجار جسد الشاب الجواد ..

ثم ساد الصمت مرة أخرى ..

وفى بطء متوتر ، قطع (أكرم) ذلك الصمت ، مغمغمًا :

ـ لم تكن هناك وسيلة أخرى يا (نور) .. أقسم لك .

لم يكد يتم عبارته ، حتى سمع الجميع صوت خفقان أجنحة قوية ، فالتفتوا إلى مصدرها ، واتسعت عيونهم فى شدة ..

كان الشاب النسر يقف فى منتصف المكان ، ممسكًا تلك الزجاجة الصغيرة فى يده ، وفاردًا جناحيه كليهما ..

وبكل دهشة الدنيا ، غمغم (أكرم) :

ـ مستحيل !

لم تكد كلمته تكتمل ، حتى اندفع الشاب النسر إلى أعلى فجأة ، وارتطم بسقف المعمل الزجاجى ، وحطّمه فى عنف ، وهو يرتفع مبتعدًا ..

ويرتفع ..

ويرتفع ..

ويرتفع ..

وخلفه ، انطلقت عشرات الرصاصات وخيوط الليزر ..

ولكنه لم يتوقّف ..

لقد انطلق بأجنحته القوية ، حتى اختفى فى السماء ..

اختفى تمامًا ..

* * *

« لم نعثر له على أدنى أثر .. »

رَدَّد الدكتور (حجازى) العبارة ، وهو يهز رأسه فى أسف ، قبل أن يستطرد :

ـ التفسير الوحيد ، الذى توصل إليه الخبراء ، هو أنه عندما دفعه (أكرم) نحو صندوق التوزيع الكهربى ، صعقه التيار دون أن يقتله ، ولكن الصعقة أتلفت جهاز التفجير الذاتى داخله ، مما أبقاه على قيد الحياة ، بعد توقف قلب العالم عن النبض .

سأله (نور) فى اهتمام :

ـ هل أطلقتم طائرات للبحث عنه ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ لا تنسى أنه يستطيع التحول إلى هيئة عادية ، والذوبان وسط الناس فى أى مكان ، وهذا يعنى أننا لن نستطيع العثور عليه .

وصمت لحظة ، ثم أضاف :

ـ إلا لو عاد إلى دورة القتل مرة ثانية .

غمغم (نور) :

ـ أمامه سنوات ليفعل .

قال الدكتور (حجازى) فى حزم :

ـ وعلينا أن نستعد .

ران عليهما الصمت لحظات ، ثم قال (نور) :

ـ هل تعتقد أن هناك آخرين ؟!

تنهَّد الدكتور (حجازى) وأجاب :

ـ لا أحد يمكنه الجزم .. ولكننى لم أعد أخشاهم ، فالتجربة أثبتت أن ما خلقه الله سبحانه وتعالى ينتصر فى النهاية .

غمغم (نور) :

ـ ونعم بالله .

قالها وهو يتطلَّع إلى السماء ، متسائلاً فى أعماقه : ترى هل سيضطر يومًا آخر إلى خوض قتال مع ذلك الجيل ..

الجيل الوحشى ..

الثالث .

* * *

تمت بحمد الله



سلسلة الأعداد الخاصة

روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل

سرى جدًّا !!

د. نبيل فاروق

الجيل الثالث

- جرائم غامضة تثير الحيرة والقلق منذ نهايات القرن العشرين ..
- وجرائم مخيفة ترجّ مصر كلها فى القرن الحادى والعشرين ..
- كائنات رهيبة ، تجمع بين البشر والحيوان والطير ، وتفترس ضحاياها بمنتهى العنف ، دون ذرة من الرحمة أو الشفقة ..
- وعلى فريق نور أن يواجه تلك المسوخ ، التى أنجبتها تجربة رهيبة لعالم مختل ..
- عالم صنع أجيالًا تحاول تبديل نمط الحياة كله ، على كوكب الأرض ..
- وعلى نور وفريقه أن يتصدوا لأحدث أجيال تلك المسوخ ..
- الجيل الثالث ..
- الرهيب .

19



الثمن فى مصر 500

وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة والإسكندرية